بسم الله الرحمن الرحيم

القسمُ في القرآنِ الكريمِ
تركيباً ودلالة

إعداد الطالب

عبدالله علي عبدالله الهتاري

إشراف

الأستاذ الدكتور : سمير شريف ستيتية

١٩٩٩م

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

القسمُ في القرآنِ الكريمِ
تركيباً ودلالة

إعداد الطالب

عبدالله علي عبدالله العتاري

بكالوريوس لغة عربية وآدابها، جامعة اليرموك ١٩٩٦م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة اليرموك

تخصص لغة عربية لغة ونحو

لجنة المناقشة

١- أ.د سمير شريف ستيتية ... رئيساً ومشرفاً

٢- د. سلمان القضاة ... عضواً

٣- د. عودة أبو عودة ... عضواً

١٩٩٩م

الإهداء

إلى الأهل الذين فارقتهم،

ولم تكتحل عيناي برؤيتهم منذ أربعة أعوام

وإلى الدارسين من أهل الاختصاص

ومحبي العربية لغة التنزيل

أهدي هذا الجهد والعمل المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيِّدنا محمَّد صلى اللهُ عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه .

وبعد :-

فإنَّ هذه الدِّراسة تعالج أسلوباً هاماً من أساليب اللُّغة العربيَّة ، هو أسلوب القسم ، وجعلت مجال تطبيق هذه الدِّراسة القرآن الكريم . مُوضِّحاً في ذلك التراكيب النحويَّة لهذا الأسلوب وكيف وردت في التنزيل ، ومنبِّهاً في ذلك على الدِّلالات البلاغية المستوحاة من هذا الاسلوب ويفيض بها النَّصُّ القرآني ، فهذه الدِّراسة محاولة من المحاولات لإبراز الإعجاز البياني للنَّص القرآني وإظهاره ،

فالقرآن الكريم هو النَّصُّ المعجز الذي تحدَّى به المولى - عزَّ وجل - البشريَّة جمعاء والجن معاً على ان يأتوا بآية مثله ، فقال - عزَّ وجل - : ﴿ قُلْ لئنِ اجتَمَعَتِ الإنْسُ وَ الجِنُّ على أنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هَذا القُرْآنِ لا يأتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾(الاسراء ٨٨) . فكما أنه كتاب هداية فهو كتاب إعجاز وبيان أيضاً ،والأجدر بالدَّارسين والأحرى بهم أن تتجه دراساتهم اللُّغويَّة إلى النص الكريم، لاستخراج مافيه من دلائل الإعجاز وأسرار البيان ، والاهتمام به عبادة يتعبد بها المولى -جلَّ وعلا - ؛ لذلك اتجهت الى هذا النص الكريم لأتناوله بالدراسة والبحث ، فكان أن تناولتُ أسلوباً من الأساليب اللُّغويَّة لدراستها فيه ، فوجدت أن أسلوب القسم من الأساليب الهامَّة التي خلتِ الدِّراسات العلمية الحديثة - على ما اعلم - من إفرادها بالدِّراسة والبحث في القرآن الكريم ، فضلاً على أنَّ هذا الأسلوب قد تكرَّر في التنزيل في أكثر من خمسمائة موضعٍ ، مما يثير تساؤلاً وإشكالاً لدى المتلقِّي لهذا النص الكريم ، لماذا ورد القسم في التنزيل ؟

ثم إنَّ القسم يفيد التوكيد وهو أرقى مستويات التوكيد وأعلاها ، فما دلالاته في النصِّ الكريم ، إلى غير ذلك من الإشكالات اللُّغويَّة التي ترد في مثل مجيء لا

النافية قبل القسم في قوله تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بيوم القِيَامَة وَلاَ أُقْسِمُ بالنَّفسِ اللَّوَّامـــة ﴾ وكذلك إقسام المولى - عزوجل - بمخلوقاته من شمس وقمر وليل ونهار وغيرها من المخلوقات الأخرى العديدة ، فما سرُّ مجيئها في القرآن ؟ إلى غيرها من القضايـــا الهامَّة المثيرة للتساؤل والاستفهام ، كان ذلك كله سببا لإفراد هذا الأسلوب بالدراسة والبحث ، فضلا على أنَّ القران الكريم هو النص الذي حُفِظ بحفظ الله ، فتلقيناه كما تلقته الأجيال الأولى من غير تحريف ولا تبديل ، وهو أرقى النصوص بل أولاهـــا في الاحتجاج به في اللُّغة وعليه تبنى القاعدة النَّحوية ، بـــل يجـــب علـــى النحـــاة والدارسين من أهل اللُّغة أن ينطلقوا من نص القرآن الكريم لتقعيـــد قواعـــد النحـــو واللغة .

ثم يأتي بعده في الاحتجاج النصوص الأخرى من الحديث النبوي الشـــريف ومن شعر أو نثر قالته العرب وحفظ عنها .

وقد تناولت هذا الموضوع " القسمُ في القرآن الكريمِ تركيبـــاً ودلالـــة" مـــن جانبين رئيسيين ، أولَّهما : التركيب ، وثانيهما : الدلالة البلاغية . ، وجاء ذلك فـــي ثلاثة فصول ، عرضت في الفصل الاول تعريف القسم ، وأنواعـــه مـــن صريـــح ومضمر وقسمته إلى ثلاثة مباحث : المبحث الأول تناولت فيـــه القســـم الصريـــح وتحدثت عن انقسامه إلى جملتين فعلية واسمية ، تناولت في الأولى أفعـــال القســـم الواردة في التنزيل وهي حلف وأقسم وآلى ، ثم الأدوات وهي الباء والواو والتاء ، ثم المقسم به ، ثم تحدثت عن الجملة الاسمية في القسم الصريح موضحا أنها لم ترد إلا في موضع واحد فقط في التنزيل ، وفي المبحث الثاني وهو القســـم المضمـــر ، تناولت الأفعال التي دلَّت على القسم وجرت مجرى اليمين ، وذهبت إلى القول إنها تفيد القسم ، كما ناقشت مناقشة مستفيضة قضية فواتح السور وخلصت إلى القـــول إنها دالة على الإعجاز البياني وتشير إلى التَّحدِّي في التنزيل ، وليست أقساما كمـــا ذهب إليه بعضهم ، ثم تناولت في المبحث الثالث المحذوفات فـــي جملـــة القســـم ، فذكرت احتمالات الحذف من حذف الفعل ، أو حذف المقسم بـــه والأداة معـــاً ، أو حذف الأداة ، ثم حذف جملة القسم بأكملها .

وفي الفصل الثاني ; تحدثتُ عن جملة جواب القسم ، وقسّمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث ، تناولت في المبحث الأول جملة الجواب حالة مجيئها جملة فعلية ، بشكليها المختلفين ماضوية أو مضارعية ، ومثبتة أومنفية ، متناولاً الأنماط المختلفة لكلٍّ شكل من هذه الأشكال وفي المبحث الثاني تناولت جملة الجواب ، وفي المبحث الثالث تحدثت عن اقتران الشرط بالقسم ، موضحاً الحالتين اللتين تردان فيه ، الأولى : تقدم القسم على الشرط ، والثانية تقدم الشرط على القسم ، وتناولت في المبحث الرابع المحذوفات في جملة الجواب ، موضحاً انواع المحذوفات المتمثّلة في حذف الجواب أوحذف " لا " من الجواب ، ثم حذف اللام الموطئة للقسم ، وأخيرا حذف لام الجواب .

وفي الفصل الثالث : عرضت للدلالات البلاغيَّة لأسلوب القسم في التنزيل ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث ، تناولت في الأول أسباب ورود القسم ومكنوناته الدلالية ، وقد أوضحت في هذا المبحث المكنونات الدِّلاليَّة التي استلهمتها من النَّص العزيز ، واقتضاها سياق النص القرآني ، فمن تلك المكنونات التحدي والوعيد والتهديد ، إلى غيرها من المكنونات التي يفيض بها النَّص الكريم ، ولا يعني ذلك أنَّ ما ذكرته فيها يعني القول الفصل وإنَّما هو وجه ، ويمكن أنْ تحتمل تلك المواضع أوجها أخرى ، كما أنَّ ما ذكرته هو بعض من تلك المكنونات لا كلُّها ، فمعاني النص الكريم ، ومكنوناته الدلالية كثيرة وعديدة ، ويمكن أن يتوسع فيها أكثر بكثير مما قيل . ثم تناولت في المبحث الثاني الدلالة اللفظية لألفاظ الأفعال التي ورد بها القسم في التنزيل ،وهي : حلف وأقسم وآلى ، فقد حصل خلط في الحديث عنها في كتب المعاجم اللغوية ، حيث قال علماء المعاجم بترادفها ، وإنَّها قد أتت بمعنىً واحد ، وبعد البحث والدِّراسة واستقراء نصوص التنزيل الواردة فيها ، اتضح للباحث أنَّ هذا الأمر يختلف تماماً في التنزيل ، فكل لفظ من هذه الألفاظ له دلالته الخاصة به ، تخصه في المعنى وتميزه به عن غيره .

ثم تحدثت في المبحث الثالث عن الدِّلالة المعنويَّة ، تناولت فيها دلالة الحذف ، مبيِّناً في ذلك الجوانب البلاغية من حذف فعل القسم ، والجوانب البلاغية من حذف الجواب، وذلك حسب ما يقتضيه سياق النَّص القرآني .

ثم تناولت أخيرا دلالة العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه ، وهذه قضيةٌ هامة غفل عنها الكثير ممن تحدثوا عن تفسير القرآن الكريم ، وقد مر كثير منهم على آيات القسم مرورا سريعا دون أن يمعنوا النظر في العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه ومحاولة معرفة المناسبة بينهما ، وقد ترسّخت لدى الباحث قناعة قويّة أنّهُ لابد أنّ تكون هناك مناسبة ومطابقة بين المقسم به والمقسم عليه ، وأن ذلك سر من أسرار القسم في التنزيل ، ودليل من دلائل إعجاز النص الكريم ، وقد تظهر لنا بعض تلك العلاقات والمناسبات في بعض نصوص التنزيل ، وقد يخفى علينا الكثير منها ، إلا أن ذلك جدير بالدرس ، وحريٌ بالدارسين بحثه والتامل فيه ، وهو أمر لم أجد من أشار إليه إلا إشارات قليلة هنا وهناك عند بعضهم ، وأخصُّ من أولئك النفر القليل الإمام ابن القيم في كتابه القيم " التبيان في أقسام القرآن " فقد أشار إلى بعض هذه العلاقات ، غير أنه قد أغفل ذكرها في كثير من المواضع ، وخرج إلى مواضيع أخرى لا تمت إلى موضوع القسم بصلة ، ومن المحدثين الدكتورة " بنت الشاطئ " في كتابيها الإعجاز البياني والتفسير البياني ، فقد أشارت هي الأخرى إشارات قليلة هنا وهناك إلى هذه العلاقات .

وبعدُ هذا جهد وعمل متواضع أضعه بين يدي أساتذتي المناقشين ، وأهل الاختصاص من الدارسين ، ومحبي العربية لغة التنزيل . رغم ما اعترضني في مسيرة بحثي هذه من هموم وغربة ، فقد عشت معه غربتين ، الأولى : غربة الأهل والوطن ، حيث فارقتهم منذ أربعة أعوام لم تكتحل عيني برؤياهم وأنا على مقعد الدراسة والبحث .

والثانية :غربة البحث .إذ لم أجد مراجع كثيرة اختصت بالقسم وعالجته في القرآن الكريم دلاليا ، إلا إشارات ومقولات متفرقات تذكر هنا وهناك في كتب النحو والتفسير ، وقد اعتمدت في جانب التركيب النحوي على كتب النحو والتفسير ، وفي جانب الدلالة على بعض الإشارات الدلالية المنصوص عليها عند بعضهم ، وكثير منها جهد قمت به محاولا استكشاف النص القراني وسبر أغواره ومعانيه العظيمة التي لا تنتهي ولا تقف عند حد .

وختاما : فانه يطيب لي أن أوجه شكري الجزيل لأستاذي وشيخي المشـــرف الأستاذ الدكتور : سمير شريف ستيتية الذي وجدته صابرا صـــبر العلمـــاء الذيـــن يمهدون لأبنائهم وتلاميذهم طريق العلم ، فقد كنت أرجع اليه بين الفينة والأخـــرى كلما اعترضت مسيرة بحثي عراقيل أو مشكلات . فاجد منه إجابة العـــالم المحفـــز والمشجع لتلاميذه ، فيرفع باجابته الهمة وينير الطريق . فأشكره شكرا جزيلا لمـــا لقيته منه من فضل غامر ومودة ، ومن آراء أنارت لي الطريق ، فأخذت بهـــا مـــا استطعت إلى ذلك سبيلا .

كما أنني أتقدم بالشكر الجزيل الوفير لأستاذنا الدكتور : ســـلمان القضـــاة ، ولأستاذنا الدكتور : عودة أبو عودة ؛ لتفضلهما بالموافقة على الاشتراك في مناقشة هذه الرسالة لتقويم ما اعوج فيها والارتقاء بها .

واللّه أسال أنْ يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن أكون قد وفقـــت فيما عرضتُ في هذه الرسالة .

فإن أصبتُ فمن الله - عزّ وجل - ، وإن أخطأت فحسبي أنّ لي أجر المجتهد المخطئ .

والحمد لله رب العالمين .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	١-٣
الفصل الأول : جملة القسم	٤-٥٤
المبحث الأوّل :- القسم الصريح.	٤-٣٢
أ- الجملة الفعلية	٤
أولا: الفعل.	٥-١٦
ثانيا: الأدوات.	١٦-٢٦
ثالثا : المقسم به.	٢٦-٣٠
ب- الجملة الاسمية.	٣٠-٣٢
المبحث الثاني :- القسم المضمر .	٣٢-٤٨
المبحث الثالث :- المحذوفات في جملة القسم .	٤٨-٥٤
١- حذف فعل القسم.	٤٨-٥٠
٢- حذف المقسم به و أداة القسم.	٥٠
٣- حذف أداة القسم.	٥٠-٥٣
٤- حذف جملة القسم .	٥٣-٥٤
الفصل الثاني :- جملة جواب القسم .	٥٥-٨٦
البحث الاول : الجواب جملة فعلية .	٥٦
أولا : فعلية فعلها مضارع .	٥٦
أ- جملة الجواب مضارعا مثبتا .	٥٦-٥٨
ب- جملة الجواب مضارعا منفيا .	٥٨-٦٠
ثانيا : فعلية فعلها ماض .	٦٠
أ- جملة الجواب ماضيا مثبتا .	٦٠-٦٤
ب- جملة الجواب ماضيا منفيا .	٦٤-٦٥
المبحث الثاني : الجواب جملة اسمية .	٦٥-٧١
أ- اسمية مثبتة .	٦٥
أولا : الجواب مُصدّرا بـــ " أن " في الاسمية .	٦٥-٦٨
ثانيا الجواب مُصدّرا بـــ " اللام " في الاسمية .	٦٨-٦٩

ب- اسمية منفية . ٦٩-٧١
المبحث الثالث :- اقتران الشرط بالقسم . ٧١-٨٠
أولا : تقدم القسم على الشرط . ٧٢-٧٩
ثانيا : تقدم الشرط على القسم . ٧٩-٨٠
المبحث الرابع : المحذوفات في جملة الجواب . ٨٠-٨٦
أولا : حذف جواب القسم . ٨٠-٨٣
ثانيا : حذف "لا" من جواب القسم. ٨٣-٨٤
ثالثا :حذف اللام الموطئة للقسم . ٨٤-٨٦
رابعا : حذف لام الجواب . ٨٦

الفصل الثالث : الدلالات البلاغية للقسم. ٨٧-١١٥
المبحث الأول : أسباب ورود القسم ومكنوناته الدلالية ٨٧-٩٥
اولا : أسباب ورود القسم. ٨٧-٩١
ثانيا : المكنونات الدلالية للقسم. ٩١-٩٥
المبحث الثاني : الدلالة اللفظية. ٩٦-١٠٧
المبحث الثالث : الدلالة المعنوية. ١٠٧
ا- دلالة الحذف. ١٠٧-١١١
ب- دلالة العلاقة بين المقسم به و المقسم عليه. ١١١-١١٥
ثبت المصادر و المراجع. ١١٦-١٢٢
الملخص باللغة العربية. ١٢٣
الملخص باللغة الإنجليزية. ١٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أولاً: تعريف القسم:

قال ابن سيده[1]: "اعلم أنّ القَسَمَ هو يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها الأشياء يخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يُؤكَّدُ بها جملة أخرى، فالجملة المؤكَّدة هي المقسم عليه، والجملة المؤكِّدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسم به".

وقال ابن منظور[2]: "القَسَمُ بالتحريك: اليمين، وكذلك المُقْسَم، وهو المصدر مثل المُخرَج، والجمع أقسام، وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسَمَه: حلَفَ له، وتقاسم القوم: تحالفوا".

ثانياً: أهميته:

تكمن أهمية القسم في دلالته على التوكيد ، قال سيبويه[3]: "اعلم أنّ القَسَمَ توكيد لكلامك". وقد يدل كذلك على التكريم أو التفضيل أو التنبيه.

قال ابن سيده[4]: "وقد يذكر القسم ويراد به التكريم أو التفضيل، أو التنبيه أو لفت النظر والاستدلال".

وقد عرف الناس هذا الأسلوب منذ العصور القديمة، وشاع استعماله في حياتهم، فقد كانوا يلجأون إليه في حلّ كثير من مشكلاتهم.

ومن ذلك قول زهير[5]:

فإنّ الحقّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

---

1. المخصص ١٣/١١٠.
2. انظر: لسان العرب مادة "قسم".
3. الكتاب ٣/١٠٤.
4. المخصص ١٣/٣٠.
5. ديوان زهير بن أبي سلمى ١٨.

فذلكمُ مقاطعُ كلّ حقّ ثلاثٌ كلُّهنّ لكم شفاءُ

وقال أيضا[1]:

فتُجْمَعُ أيمُنٌ منّا ومنكم بمَقْسَمة تمورُ بها الدّماءُ

وقال طرفة[2]:

وقَرّبْتُ بالقُربى وجدّكَ إنّني متى يكُ عهدٌ للنكيثة أشْهَد

وكانوا قديما يتخذون الأيمان لتوثيق عهودهم وتأكيدها، "فربما غمسوا أيمانهم في إناء ماء إذا كانوا كثيرين، فكأنّهم أخذ بعضهم يد بعض وأجمعوا أمرهم بما مسهم شيء واحد، والماء أبلغ في المس واللصوق، ولذلك قالوا: بلّ بالشيء يدي أي لصقت به"[3]، قال طرفة[4]:

إذا ابتدرَ القومُ السلاحَ وجدتني منيعا إذا بلّت بقائمه يدي

وكانوا إذا أرادوا قتال عدوٍ لهم ، أخذوا عطرا يسمونه عطر منْشم، لأنهم باعوه من عطارة تسمى منشم، فيتمسحون بذلك العطر، فيكون كالعهد واليمين.

ولذلك يقول زهير[5]:-

تداركتُما عبْسا وذُبيانَ بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطرَ منْشَمِ

وقد كانوا يقسمون على رؤوس الأشهاد، ليوثّقوا أقسامهم ويؤكّدوها، لأن الرجل يجتنب أن يكون كاذبا في أعين الناس.

وكانوا يقسمون للاستدلال بالقسم به على ما يقسمون عليه، فمن ذلك قسم الهجرس حين قتل جسّاسا قاتل أبيه، فقال[6]: "وفرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه، وهو ينظر إليه".

---

[1] ديوان زهير بن أبي سلمى ١٨.

[2] ديوان طرفة ٣٨.

[3] الإمعان في أقسام القرآن، عبد الحميد الفراهي ٤-٤٣.

[4] ديوان طرفة ٤٣.

[5] ديوان زهير ١٠٦.

[6] الأغاني ٥/٦٢.

"فأقسم بهذه الأشياء استدلالا بها كأنه قال: "فكيف أترك قاتل أبي، وأنا قادر على الكر والفر والطعن والضرب، فذكر في قسمه ما يصدق دعواه، ويستدل به على وجوب ما أراد به"[1].

وقد كانوا يستخدمون القسم في مواقف التعجب للتعبير عن مشاعر الدهشة والاستغراب، كقول الشاعر[2]:

للّهِ يبقى على الأيّامِ ذو حيَدٍ بمُشْمَخِرٍّ به الظيّانُ والآسُ

---

[1] الإمعان للفراهي ٧٢.

[2] البيت لأميّة بن أبي عائذ، انظر الكتاب ٤٩٧/٣.

الفصل الأول

جملـــة القســـــم

يتكون أسلوب القسم من جملتين، جملة القسم، وجملة جواب القسم، وهاتـــان الجملتان مرتبطتان بعضهما ببعض، قال الاستراباذي[1]: "واعلم أن الجملتين: أعنـــي القسم والجواب، كالشرط والجزاء، صارتا بقرينة القسم كجملة واحدة".

وينقسم القسم باعتبار ذكر جملة القسم أو حذفها إلى قســـمين همـــا: القســـم الصريح والقسم المضمر.

المبحث الأول: القسم الصريح

"وهو ما كان فيه القسم صريحا أو ظاهرا، ويستدل عليه بحرف القسم، نحـــو قوله تعالى: ؛ **والسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ إِنَّكُم لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ** ؛ (الذاريات ٧-٨).

أو يستدل عليه بفعل القسم، نحو: أقسم لا أنسى المعروف، أو يستدل عليـــه بالحرف والفعل معا، كقوله تعالى: ؛ **وأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِم لَئِن جَاءَتْهُم آيَـــةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا** ؛ (الأنعام ١٠٩). أو يستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم، اســـما كـــان أم مصدرا[2].

ويمكننا القول مما سبق أن القسم الصريح هو ما ذكرت فيه جملة القسم، وهو ينقسم إلى جملتين: جملة فعلية وجملة اسمية.

أ- الجملة الفعلية:

وقد بدأ بها الباحث؛ لأنها هي الأصل في جملة القسم، وهي أكثر شيوعاً من الجملة الاسمية ،إذ إن الجملة الاسمية لم ترد في التنزيل إلاّ في موضع واحـــد[3]،

---

[1] شرح الكافية ٢/٣٣٦.

[2] التراكيب اللغوية في العربية، هادي نهر ٢٣٩.

[3] سيرد الحديث عنها في ص (٤٠) من هذا البحث.

في حين وردت الجملة الفعلية في سبعة وثمانين موضعا، متعددة الأنماط ومختلفة الأشكال.

وتتكون هذه الجملة في أصلها من ثلاثة عناصر هي: الفعل + الأداة + المقسم به. وهذا هو شكلها التام، غير أن كل عنصر من عناصر هذا الشكل التام يطرأ عليه تغير من حذف أو تقدير.

ويمكننا تفصيل كل عنصر من عناصر هذا الشكل على النحو التالي:

أولاً: الفعل

الأفعال التي جاءت صريحة دالة على القسم في القرآن الكريم هي: أقسم، وحلف، وألى.

ويمكننا بحثها على النحو التالي:

١ – أقسم:

قال ابن منظور[١]: "أقْسَم بالله واستقْسَمَهُ به وقاسَمَهُ: حلف له، وتقاسم القوم: تحالفوا. وفي التنزيل: **﴿قالُوا تَقَاسَمُوا بالله﴾** (النمل ٤٩)، وأقسمتُ حلفت، وأصله من القسامة، ... وقاسمهُمْ أي: حلف لهما، والقَسامة: الذين يحلفون على حقهم ويأخذون".

وهذا الفعل من أكثر الأفعال شيوعا واستعمالا في القسم، ومن أمثلته في الشعر:

قول النابغة[٢]:

ألمْ أُقْسِمْ عليكَ لَتُخْبِرَنّي ... أمحمولٌ على النعش الهمامُ

وقال زهير[٣]:

فأقسمتُ بالبيت الذي طافَ حولَهُ ... رجالٌ بنوه من قريش وجُرْهُم

---

١ لسان العرب، مادة قسم.

٢ ديوان النابغة الذبياني ٢٣٢.

٣ ديوان زهير بن أبي سلمى ١٠٥.

وقال جميل[1]:

فأقسم لا أنساك ما ذرّ شارقٌ وما خبّ آلٌ في ملمّعَة قفرِ

وقد ورد استعمال هذا الفعل في القرآن الكريم في معرض الأيمان في واحد وعشرين موضعا، ماضيا ومضارعا، مثبتا ومنفيا، وهو من أكثر أفعال القسم وروداً في التنزيل وأكثرها اقترانا بالمقسم به.

وقد جاء في نمطين، حسب ورود الفعل مثبتا أو منفيا.

النمط الأول: الفعل (مثبتا)

هذا النمط ورد في ثلاثة عشر موضعا، وذلك في شكلين هما:

الشكل الأول: الفعل (مثبتا) + المقسم به

وقد ورد هذا الشكل في ثمانية مواضع، منها[2]:

قوله تعالى: ؛ **وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانِهِم، لَئِنْ جاءَتْهُم آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا** ؛ (الأنعام ١٠٩)

وقوله: ؛ **فَيُقْسِمَانِ بالله لَشَهادَتُنَا أحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِما** ؛ (المائدة ١٠٧).

وقوله تعالى: ؛ **وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانِهِم لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ** ؛ (النحل ٣٨).

ويلحظ الباحث في هذا الشكل أن الأداة لفعل القسم هي الباء متصلة بالمقسم به وهو لفظ الجلالة فقط، لأن الباء هي الحرف الوحيد من حروف القسم التي يظهر معها فعل القسم.

الشكل الثاني: الفعل (مثبتا) + المقسم به (محذوفا)

وقد ورد هذا الشكل في خمسة مواضع، منها[3]:

قوله تعالى: ؛ **أهَؤُلاء الذِينَ أقْسَمْتُم لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ** ؛ (الأعراف ٤٩).

وقوله تعالى: ؛ **أوَلَمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُم مِنْ قَبْلُ مَالَكُم مِنْ زَوَال** ؛ (إبراهيم ٤٤).

---

[1] ديوان جميل بثينة ٩٦.

[2] انظر بقية المواضع التي لم تذكر هنا في ٥/٥٣، ٥/١٠٦، ٢٤/٥٣، ٢٧/٤٩، ٣٥/٤٢. * قصد بهذه الأرقام أن الأول يشير الى السورة و الثاني يشير إلى الآية

[3] انظر بقية المواضع في ٧/٢١، ٦٨/١٧.

وقوله تعالى: ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾ (الروم ٥٥).

النمط الثاني: أداة النفي (لا) + الفعل + المقسم به

ورد هذا النمط في ثمانية مواضع، وكلها صادرة عن المولى عز وجل، بصيغة المتكلم، وجاءت الأداة في هذه المواطن "الباء"، وجاء المقسم به في موضع واحد منها (بالرب)، وهو قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون ﴾ (المعارج ٤٠).

وفي بقية المواضع جاء المقسم به عدد من مخلوقات الله، فتارة يقسم المولى عز وجل بمواقع النجوم، وتارة بالقيامة، وأخرى بالنفس اللوامة... إلخ.

وهذه المواضع هي:

قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم ﴾ (الواقعة ٧٥-٧٧)

-﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون، إنه لقول رسول كريم ﴾ (الحاقة ٣٨-٤٠).

-﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون ﴾ (المعارج ٤٠).

-﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ (القيامة ١).

-﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ (القيامة ٢).

-﴿ فلا أقسم بالخنس الجواري الكنس، والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس، إنه لقول رسول كريم ﴾ (التكوير ١٥-١٩).

-﴿ فلا أقسم بالشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق، لتركبن طبقا عن طبق ﴾ (الانشقاق ١٦-١٩).

-﴿ لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد، ووالد وما ولد، لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ (البلد ١-٤).

وكل هذه الأقسام جاءت في ثنايا الآيات، عدا آيتين جاء هذا النوع من القسم في مطلعهما، هما: قوله تعالى: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ (القيامة ١).

وقوله تعالى: ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ (البلد ١).

وقد اختلفت أقوال العلماء، وتعدّدت آراؤهم في هذا النمط من القسم، في هذه الآيات القرآنية، إذ اختلفوا في (لا) السابقة لهذا القسم، ما نوعها وما دلالتها؟ وقد أتت آراؤهم على النحو التالي:

أ- زائدة:

واختلف هؤلاء في فائدتها على قولين:

١- إنها زيدت توطئة وتمهيدا لنفي الجواب، وممن أخذ بهذا الرأي الاســـترابادي، حيث قال[١]: وجاءت قبل القسم به كثيرا، للإيذان بأن جواب القسم منفي".

٢- إنها زيدت لتقوية الكلام وتوكيده، وممن ذهب إلى هذا القول، ابن خالويـــه[٢]، والزمخشري[٣]، وابن يعيش[٤].

قال الزمخشري[٥]: "فلا أُقْسِمُ" معناه فأقسم، و(لا) مزيدة مؤكدة، مثلها في قوله تعالى: ؛ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ ؛ (الحديد ٢٩)

وقال ابن يعيش[٦]: "قال المفسرون في قوله تعالى: ؛ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَـــةِ ؛ (القيامة ١)، إن (لا) زائدة مؤكدة، والمراد والله أعلم، أقسم".

وقد مال إلى هذا الرأي من الباحثين المعاصرين، كاظم الراوي[٧].

ب- نافية:

وقد اختلف القائلون بهذا الرأي في منفيها على قولين هما:

١- أنها جاءت ردّا لكلام سابق مقدّر، قاله الكفار ثم استؤنف القسم بعدها.

---

١ شرح الكافية ٢/٣٨٥.

٢ إعراب ثلاثين سورة من القرآن ٨٧.

٣ انظر الكشاف ٤/٥٨.

٤ انظر شرح المفصل ٨/١٣٦.

٥ الكشاف ٤/٥٨.

٦ شرح المفصل ٨/١٣٦.

٧ انظر أساليب القسم في اللغة العربية ١٥١.

وممن يؤيد هذا الرأي الفراء[1]، وابن جرير الطبري[2]، وابن كثير[3]، وهو كذلك رأي قطرب، فيما نقله عنه ابن فارس[4]، وهو منقول أيضاً عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير[5].

قال الفراء[6]: "ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم، في كثير من الكلام المبتدأ منه، وغير المبتدأ، كقولك في الكلام: لا والله لا أفعل ذاك، جعلوا (لا) وإن رأيتها مبتدأ رداً لكلام قد كان مضى، فلو ألقيت (لا) مما ينوى به الجواب، لم يكن بين اليمين التي تكون جواباً، واليمين التي تستأنف فرق، ألا ترى أنك تقول مبتدئاً، والله إنّ الرسول لحق، فإذا قلت لا واللهِ إنّ الرَّسول لحقٌّ فكأنك أكذبت قوماً أنكروه، فهذه جهة (لا) مع الإقسام".

٢- أنها تنفي الحاجة إلى القسم:

وقد ذكر هذا الرأي من العلماء القدماء الرازي[7]، إذ ذكر أقوالاً من المنقول عن العلماء حول (لا)، ثم ذكر رأياً من المعقول اهتدى إليه ورجحه، وشرحه بقوله: "أما المعقول فهو أن كلمة (لا) هي نافية على معناها غير أن في الكلام مجازاً تركيبياً، وتقديره أن تقول: "لا في هنا كـ (هي) في قول القائل: لا تسألني عما جرى عليَّ، يشير إلى أن ما جرى عليه أعظم من أن يشرح".

فهو يقصد من هذا السؤال تعظيم الواقعة لا النهي عن السؤال، ثم يسقط الرازي هذا المثال على النفي في (لا أقسم)، ويصل إلى نتيجة مفادها في قوله[8]: "فإذا قوله

---

١ معاني القرآن ٣/٢٠٧.

٢ جامع البيان ٢٩/١٠٩.

٣ تفسير القرآن العظيم ٧/١٢٠.

٤ الصاحبي في فقه اللغة ٢٥٨ز

٥ مجمع البيان، الطبرسي ١٠/٥٩٦.

٦ معاني القرآن ٣/٢٠٧.

٧ التفسير الكبير ١٠/٤٢٥-٤٢٦.

٨ التفسير الكبير ١٠/٤٢٦.

(لا أقسم بمواقع النجوم)، أي الأمر أظهر من أن يقسم عليه، وأن يتطرق الشك إليه".

وقد مال إلى هذا الرأي من الباحثين المحدثين محمد عبده[1]، وعبد القادر المغربي[2] وبنت الشاطئ[3].

تقول بنت الشاطئ[4]: "أفلا يهدينا تدبر سياق آيات (لا أقسم) لله تعالى وحده، إلى سر البيان في (لا) تنفي حاجته جل جلاله إلى القسم؟ بلى، وإنما نحتاج نحن البشر إلى أن نقسم، دفعا لمظنة اتهام أو إزاحة لشك، ومن ثم نلمح سر العربية إذ تستعمل هذا الأسلوب حيث تنفي الحاجة إلى القسم، في مواضع الثقة واليقين".

ج- **ليست نافية ولا زائدة، وإنما هي لام ابتداء:**

أشبعت فتحتها، فتولّدت عنها الألف، وقد ذكر أبو حيان هذا الرأي عندما عرض لآراء العلماء في (لا)، ثم عقب على ذلك بقوله[5]: "والأولى عندي أنها لام أشبعت فتحتها فتولّدت منها ألف، كقوله: "أعوذ بالله من العقراب".

واستدل بقراءة[6] الحسن البصري وابن كثير، لقوله تعالى: ﴿لأُقْسِمُ﴾ بحذف الألف.

وقراءة هشام بن عمار الدمشقي[7]، لقوله تعالى: ﴿ **فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ** ﴾ (إبراهيم ٣٧). بياء بعد الهمزة، تولّدت من إشباع كسرتها.

وبعد هذا العرض المفصل لهذه الآراء السالفة الذكر، يميل الباحث إلى أن القول بأن (لا) جاءت ردّا لكلام مقدر، هو الرأي الأقرب إلى الصواب من غيره، ذلك لأن الأقوال الأخرى لم تسلم من الرد والاعتراض، فقد اعترض على القول بأنها زائدة توطئة لنفي الجواب، "بقوله تعالى: ﴿ **لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ** ﴾ (البلد ١).

---

[1] انظر تفسير جزء عم ص ٣٣.

[2] انظر تفسير جزء تبارك ٤٣.

[3] الإعجاز البياني ٢٨٥.

[4] المصدر السابق الصفحة نفسها.

[5] البحر المحيط ٢١٢/٨.

[6] انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن طالب ٣٤٩/٢، وإتحاف فضلاء البشر، الدمياطي ٤٢٨.

[7] انظر: إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٢٧٣.

فإن جوابه مثبت وهو ؛ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ** ؛ (البلد ٤).

وبقوله تعالى: ؛ **فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ** ؛ (الواقعة ٧٥)[١].

فجوابه مثبت أيضا، وهو: ؛ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ** ؛ (الواقعة ٧٧)."

وهكذا غيرها من الآيات الأخر، جاء الجواب فيها كلها مثبتا، عدا قوله تعالى: ؛ **لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ** ؛ (القيامة ١) فقد جاء محذوفا.

وردّ على من قالوا إنها زائدة لتوكيد الكلام وتقويته، "بأنها لا تزاد لذلك صدرا، بل حشوا... وذلك لأن زيادة الشيء تفيد اطراحه، وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به"[٢].

وكذلك اعترض على القول بأنها جاءت لنفي الحاجة إلى القسم، وذلك "بأن الله سبحانه قد أقسم صراحة في آيات كثيرة، منها قوله: ؛ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِنِينَ، وَهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ، لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ؛ (التين ١-٤).

مما يشير هذا إلى أنه لا مسوغ للقول بأن "لا"في قوله تعالى: ؛ **لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ** ؛ (البلد ١) قد نفت الحاجة إلى القسم.

وقد اعترض على هذا القول قديما أبو السعود بقوله[٣]: "وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم، إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم، فيأباه تعيين المقسم به، وتفخيم شأن القسم به".

وأما ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي من القول بأن (لا) هي لام الابتداء أُشبعت فتحتها فتولّدت عنها ألف، فقد رُدّ عليه[٤] بأن الاطراد في مجيء (لا) مع الفعل أقسم، صادرا عن المولى عز وجل دون غيره من الخلق، وبهذه الصيغة المتكررة في ثمانية مواضع، يبعد الاحتمال بأنها لام ابتداء أشبعت فتحتها، فضلاً عن اللبس الذي يوجده ذلك الإشباع بـ (لا) النافية، وأنه لا إلباس في قراءة "أفئيدة".

---

١ انظر معنى اللبس، ابن هشام، ١/٤١٤.

٢ المصدر السابق ونفس الصفحة.

٣ تفسير أبي السعود، ٨/١٩٩.

٤ انظر الإعجاز البياني للقرآن، د. عائشة بنت الشاطئ ٢٨٣-٢٨٤ "بتصرف".

ويخلص للباحث القول بعد ذلك إلى أن القول بأن (لا) هي رد لكلام سابق مقدّر محذوف، وأن القسم مستأنف بعدها، هو أقربها إلى الصواب، وأسلمها من الرد والاعتراض، وهذا ما يقرّره ابن العربي، بعد أن عرض للآراء الأخرى وفنّدها ثم قال[1]: "وأما من قال: إنها ردّ فهو قول ليس له رد؛ لأنه يصح به المعنى، ويتمكن اللفظ والمراد".

ويقول الطبري مقرّرا ذلك أيضا[2]:

"وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: إن الله أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، وجعل (لا) ردا لكلام قد كان تقدمه من قوم وجوابا لهم، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب؛ لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم، إذا قال أحدهم: لا والله لا فعلت كذا، أنه يقصد بـ (لا) ردّ الكلام، وبقوله والله ابتداء يمين، وكذلك قولهم لا فعلت كذا، فإذا كان المعروف من ذلك ما وصفنا، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريا مجراه، مالم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له".

وما قرّره الطبري في هذا السياق هو ما تقتضيه أساليب العربية في شعرها ونثرها، فمن ذلك في الشعر، قول طرفة[3]:

خَليليَّ، لا واللهِ، ما القلبُ سالمٌ، وإنْ ظهرتْ منّي شمائلُ صاح

وقول السموأل[4]:

وقالوا: إنّهُ كَنْزٌ رغيبٌ فلا واللهِ أغْدرُ ما مَشَيْتُ

ومن النثر ورد قولهم[5]: "لا والذي شقّ الرجال للْخيل والجبال للسّير".

وقولهم[6]: "لا والذي شقّهنّ خمسا من واحدة".

---

[1] أحكام القرآن ٤/١٩٢٢.

[2] جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/١٠٩.

[3] ديوان طرفة بن العبد ١٤٤.

[4] ديوان السموأل بن عاديا ٤٣.

[5] أيمان العرب، للنجيرمي، نقلا من كتاب أساليب القسم في العربية، كاظم الزاوي ١٩٣.

[6] المصدر السابق.

وقولهم[1]: "لا والذي لا يواريني منه غيب".

ومن ذلك ما أخرجه البخاري[2] عن عبد الله بن عمر: أكثر ما كان النبـــي- صلى الله عليه وسلم- يحلف: "لا ومقلب القلوب".

والدليل على هذا الرأي أيضا العرف اللغوي الشائع لدى الناس، وما اشـــتهر على ألسنتهم وتعارفوا عليه فى أحاديثهم، وأقوالهم، قديما وحديثا، وذلك إنه إذا طُلب من أحدهم القيام بفعل ما، أو سئل سؤالا ما، احتاج نفيه إلى مزيـــد مـــن التوكيـــد، انطلقت منه عبارة "لا والله" طيّعة سهلة، متضمنة نفيا لقول سابق، ومؤكـــدة لقـــول لاحق.

وقد تنزلت لغة التـــنزيل لتخاطب هؤلاء القوم بما يعرفونـــه ويألفونـــه مـــن لغتهم، ولو كان في ذلك أدنى مغمز أو ملمز أو مهمز لسارع إلى ذكره خصوم هذا الذكر الحكيم، وهم جهابذة اللغة وفرسانها لا سيما، أنه قد تحدّاهم بذلك.

٢- حلف:

جاء في لسان العرب[3] "الحَلف، والحَلْفُ: القسم لغتان، حلف أي أقسم، يحلف حلفا وحِلْفا وحَلِفا".

وهذا الفعل كثر شيوعه واستعماله في أسلوب القسم، ومن أمثلته في الشـــعر قول امرئ القيس[4]:

حلفتُ لها بالله حلفةَ فاجرٍ لنا موافما إنْ منْ حديث ولا صالِ

وقول النابغة[5]:

حَلَفْتُ فلم أترُكْ لنفسك رِيبَةً وليس وراء الله للمرءِ مذْهبُ

---

[1] المصدر السابق.

[2] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب: مقلب القلوب، برقم ٧٣٩١.

[3] لسان العرب، مادة حلف.

[4] ديوان امرئ القيس ٣٢.

[5] ديوان النابغة الذبياني د.د.

ورد استعمال هذا الفعل في القرآن الكريم في معرض الأيمان، في اثني عشر موضعا، منها أحد عشر موضعا، جاءت صيغة الفعل المضارع فيها مسندة إلى الضمير المتصل "واو الجماعة"[1]، من ذلك قوله تعالى:: **ويَحْلِفُونَ بالله إنَّهُمْ لَمنكُم وما هُمْ منكُمْ** ؛ (التوبة ٥٦).

وقوله تعالى: ؛ **يَحْلِفُونَ بالله مَا قَالُوا ولَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفر** ؛ (التوبة ٧٤)

وقوله تعالى: ؛ **ويَحْلِفُونَ على الكذب وهُم يعلمون** ؛ (المجادلة ١٤)

وجاء في موضع واحد فقط مسندا إلى الضمير الدال على جمع المخاطبين، وذلك في قوله تعالى: ؛ **ذلك كفَّارة أيْمانكُمْ إذا حلَفْتُم** ؛ (المائدة ٨٩).

وقد جاء هذا الفعل من حيث ذكر أداة القسم أو حذفها في نمطين هما:

النمط الأول: الفعل + الأداة + المقسم به

ورد هذا النمط في ستة مواضع منها[2]:

قوله تعالى: ؛ **وسيحْلِفُونَ بالله لَوْ استَطَعْنَا لَخرجْنَا معَكُم** ؛ (التوبة ٤٢)

وقوله تعالى: ؛ **ثُمَّ جاءُوكَ يَحْلِفُونَ بالله إنْ أردْنَا إلاَّ إحْسَانا وتَوفيقا** ؛ (النساء ٦٢).

وقد كانت الأداة المستعملة في كل هذه المواضع هي الباء، متصلة بلفظ الجلالة (الله)؛ لأن الباء هي الحرف الوحيد من حروف القسم الذي يجوز أن يذكر معه فعل القسم، وسيأتي بيان ذلك في موضعه.

النمط الثاني: الفعل + المقسم به (محذوف)

ورد هذا النمط في ستة مواضع، على ثلاثة أشكال هي:

الشكل الأول: الفعل المضارع مسندا إلى الضمير "واو الجماعة" وجاء هذا الشكل في خمسة مواضع منها[3]:

قوله تعالى: ؛ **ويَحْلِفُونَ لَكُم لترضَوا عنْهُم** ؛ (التوبة ٩٦).

وقوله تعالى: ؛ **ويَحلِفُون على الكذب وهُم يعْلَمُون** ؛ (المجادلة ١٤).

---

[1] انظر بقية المواضع في ٤/٦٢، ٩/٤٢، ٩/٦٢، ٩/٩٥، ٩/٩٦، ٩/١٠٧، ٥٨/١٨ (موضعين).

[2] انظر بقية المواضع في ٩/٥٦، ٩/٦٢، ٩/٧٤، ٩/٩٥.

[3] انظر بقية المواضع في ٩/١٠٧، ٥٨/١٨ (موضعين).

الشكل الثاني: الفعل المضارع مسندا إلى الضمير المتصل "واو الجماعة" + نون التوكيد الثقيلة.

ورد هذا الشكل في موضع واحد، حيث جاء الفعل في جواب قسم مقدّر وهو قسم، وذلك في قوله تعالى: ؛ **وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى** ؛ (التوبة ١٠٧).

قال أبو حيان[١]: "فاللام في (وليحلفنّ) جواب قسم، وهو قسم".

الشكل الثالث: الفعل الماضي (مسندا إلى ضمير الرفع المتصل الدال على جمع المخاطبين)

وقد ورد هذا الشكل في موضع واحد، هو: قوله تعالى: ؛ **ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُم إِذَا حَلَفْتُم، وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُم** ؛ (المائدة/٨٩).

٣- آلى:

جاء في اللسان[٢]: "والفعل آلى يُولي إيلاء: حلف، وتألّى يتألّى تألّيا، وائتلى يأتلي ائتلاء، وفي التنزيل العزيز: ؛ **وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُم** ؛ (النور ٢٢) وقال أبو عبيد: لا يأتل هو من ألوتُ أي قصّرتُ، وقال الفراء: "الائتلاءُ الحلفُ".

وقال الشاعر[٣]:

قليلُ الأَلايا حافظٌ ليمينه ... وإنْ سَبَقَتْ منْهُ الأليّةُ برّت

وقال المتلمّس[٤]:

آليت حَبَّ العراق الدّهرَ أطْعَمُهُ ... والحبُّ يأكُلُه في القرية السُّوسُ

وقد ورد هذا الفعل في لغة التنزيل في موضعين:

الأول: المضارع مسندا إلى الضمير "واو الجماعة".

والثاني: جاء في سياق النهي عن الحلف وهما:

قوله تعالى: ؛ **لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِم تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ** ؛ (البقرة ٢٢٦).

---

١ البحر المحيط ٨/٢١٣.

٢ لسان العرب مادة "ألا".

٣ البيت لكثير عزة في ديوانه ٣٢٥.

٤ ديوان شعر المتلمس الضُبعي ٩٥.

قال القرطبي[1]: "قوله تعالى: ﴿ **للذين يُؤلــون** ﴾، يؤلــون معنــاه: يحلفــون، والمصدر إيلاء وألِيّة وأُلوَة، وإلْوَة. وقرأ أُبيّ وابن عباس "للذين يقسمون"، ومعلــوم أن "يقسمون" تفسير يؤلون".

وقوله تعالى: ﴿ **ولا يأتَلِ أولوا الفضل منكُم والسّعَةِ** ﴾ (النور ٢٢).

قال الفراء[2]: "وقوله ولا يأتل أولو الفضل، والائتلاء: الحلف".

وقال القرطبي[3]: "وقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يأتَلِ أولو الفَضْلِ** ﴾، "ولا يأتل" معنــاه: يحلف، وزنها يفتَعِل، من الألِيّة وهي اليمين".

ثانياً: الأدوات:

الأدوات المستعملة في القسم هي[4]: الباء والواو والتاء واللام ومِن.

وسنقتصر على ذكر ما ورد منها في لغة التــنزيل وهي الثلاثــة الحــروف الأولى: الباء والواو والتاء؛ لأنها هي التي تعنينا في بحثنا هذا.

أ- الباء:

وهي أصل حروف القسم، وإن كانت الواو أكثر استعمالاً منها، ويعلل ابــن يعيش كونها أصل حروف القسم بقوله[5]: والذي يؤيد عندك أن الباء الأصــل فــي حروف القسم، أنها تدخل على المضمر كما تدخل علــى المظهــر، فتقــول: باللــه لأقومنّ، وبه لأفعلنّ، والواو لا تدخل إلاّ على المظهر ألبتة، تقول: واللــه لأقومــنّ، ولو أضمرت لقلت: به لأفعلنّ، ولا تقول: وه ولاوك، فرجوعك مع الإضمار إلى الباء يدل أنها هي الأصل؛ لأن الإضمار يرد الأشياء إلى أصولها".

---

١ الجامع لأحكام القرآن ٦٨/٣.

٢ معاني القرآن ٢٤٨/٢.

٣ الجامع لأحكام القرآن ١٣٨/١٢.

٤ انظر: سيبويه ٤٩٦/٣-٤٩٩، والمقتضب ٣١٨/٢، ٣٢٠، ٣٣١، والمخصص ١١٠/١٣-١١٢، وشرح المفصــل ٣٣/٨-٣٥، ٩٥/٩-٩٦، وشرح الكافية ٣٣٤/٢، وشرح الجمل ٥٢٤/١-٥٢٥، وارتشاف الضرب ٤٧٦/٢.

٥ شرح المفصل ٣٣/٨.

وقال ابن الحاجب[1]: "وإنما حكم بأصالتها؛ لأن أصلها الالصاق، فهي تلصق فعل القسم بالمقسم به".

وقد خُصّت هذه الباء بصفات تتماز بها عن غيرها من حروف القسم هي[2]:

١- جواز إظهار فعل القسم معها: نحو قوله تعالى: ؛ **وأقْسَمُوا بالله جهْدَ أيْمَانِهِم لَئِنْ أمَرْتَهُم لَيَخْرُجُنّ** ؛ (النور ٥٣) بخلاف سائر حروف القسم الأخرى ، فيجب حذف الفعل معها.

٢- دخولها على الظاهر والمضمر، وغيرها لا يدخل على المضمر ألبتة. فمثال دخولها على الظاهر، قوله تعالى: ؛ **فَبِعِزّتِكَ لأُغْوِيَنّهُم أجْمَعِين** ؛ (ص٨٢).

ومثال دخولها على المضمر قول الشاعر[3]:

ألا نادتْ أُمامةُ باحتمالي لتحزُنني فلا بِكِ ما أُبالي

٣- اختصاصها بالقسم الاستعطافي[4]:

نحو قول العرجي[5]:

بالله يا ظَبْيَات القاع قُلْنَ لنا: ليْلايَ منكن؟ أم ليْلَى منَ البشرِ؟

وقد وردت باء القسم في القرآن الكريم في خمسة وعشرين موضعا، منها ثلاثة وعشرون موضعا جاءت الباء فيها مقترنة بفعل القسم، وفي موضعين فقط وردت الباء مجرّدةً عن الفعل.

وهذان الموضعان هما:

قوله تعالى: ؛**وقالوا بعزّة فرْعَوْنَ إنّا لَنَحْنُ الغالِبُون**؛ (الشعراء ٤٤)

وقوله: ؛**فبعزّتك لأُغْوِيَنّهُم أجمعين**؛ (ص ٨٢).

---

١ الكافية مع الشرح ٣٣٤/٢.

٢ انظر: المخصص ١٣/١١٠-١١١، والمفصل في صنعة الإعراب ٤٨٥-٤٨٦، والجنى الداني ٤٥، وارتشاف الضرب ٤٧٧/٢.

٣ البيت: نسبة ابن منظور إلى غوية بن سلمى، اللسان ٤٤٣/١٥ (بك) وهو في شرح المفصل بلا نسبة ٣٤/٨.

٤ سوف يفرد الحديث عن القسم الاستعطافي في الفصل الثاني "حذف حرف القسم".

٥ ديوان العرجي ٢٤١، ووجدته أيضا في ديوان المجنون ١٢٧.

وفي هذا رد على قول كاظم الراوي[1]: "ولا يجيء الباء في أسلوب القسم القرآني إلا مقترنة بالفعل أقسم أو حلف، بينما يرد في غير القرآن مجرّدة عن الفعل".

وهذا الأمر يشير إلى أن ظهور الفعل معها أولى من حذفه، لورود ذلك بكثرة في لغة التنزيل.

وفي المواضع التي كانت فيها مسبوقة بفعل القسم، كان الفعل "أقسم" أكثر اقترانا بها من الفعل "حلف"، حيث ورد مقترنا بها في ستة عشر موضعا، من ذلك قوله تعالى: ﴿أهؤُلاء الذين أقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانهم إنّهُم لمَعَكُم﴾ (المائدة ٥٣).

وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بالله إنِ ارْتَبْتُم لا نَشْتَري به ثَمَناً﴾ (المائدة ١٠٦).

وفي ستة مواضع فقط جاء الفعل "حلف" مقترنا بها، من ذلك[2] قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بالله مَا قَالُوا، ولَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ﴾ (التوبة ٧٤).

وقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بالله لَكُمْ لِيُرْضُوكُم ﴾ (التوبة ٦٢).

ويرى الباحث أن الفعل "أقسم" إنما اقترن بالباء أكثر من "حلف"؛ لكونه أكثر وضوحا وتأكيدا ودلالة على القسم، وتوكيد صدق الأيمان من "حلف".

وكان المقسم به في تلك المواضع كلها هو لفظ الجلالة "الله"، عدا القسم الصادر من المولى عز وجل المسبوق بالنفي "لا أقسم"، فقد جاء في موضع واحد المقسم به "الرّب"، وباقيها أقسام بالمخلوقات، كما سبق بيان ذكره[3].

ولم ترد الباء في لغة التنزيل داخلة على المضمر، مما يدل على أن الأصل في الباء دخولها على الظاهر.

وقد وردت الباء في مواضع أخرى من الذكر الحكيم، اختُلف في حقيقة الباء فيها، أتدل على القسم أم على السببيّة ؟ ، ومن هذه المواضع[4]:

---

[1] أساليب القسم في اللغة العربية ٥٠٥.

[2] انظر بقية المواضع في ٩/٤٢، ٩/٥٦، ٩/٩٥، ٤/٦٢.

[3] انظر ص ٧ من هذا البحث.

[4] انظر بقية المواضع التي لم تذكرها في: ١٥/٣٩، ٢٨/٣٥، ٥٢/٢٩.

قوله تعالى: ﴿ قال فبمـــا أغويتنـــي لأقعـدنّ لهـمْ صراطـك المسـتقيم ﴾ (الأعراف ١٦).

قال ابن عطية[١]: "وقوله "فبما" يحتمل أنه يريد به القسم، كما تقـول: فباللـه لأفعلن".

وقال أبو السعود[٢]: "فبما أغويتني" الباء للقسم، كما في قوله تعالى: " فبعزّتك لأغوينّهم "... أو للسببية على أن الباء متعلقة بفعل القسـم المحـذوف، لا بقولـه لأقعدنّ لهم".

وقوله تعالى: ﴿ قال ربِّ بما أنعمْتَ عليّ فلنْ أكـون ظهـيرا للمجْرمِيـن ﴾ (القصص ١٧).

قال أبو حيان[٣]: "والباء في (بما أنعمت) للقسم، والتقدير: "أقسم بما أنعمت به عليّ من المغفرة، ... أو متعلقة بمحذوف تقديره اعصمني بحق ما أنعمت عليّ مـن المغفرة".

وقوله تعالى: ﴿ ن، والقلمِ وما يسْطُرُون، ما أنْتَ بنِعْمـةِ ربِّـكَ بمجْنُـونٍ ﴾ (القلم ١-٢).

قال أبو حيان[٤]: "ويظهر أن بنعمة ربك" قسم اعترض به بين المحكوم عليه، والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه- صلـى الله عليه وسلم-".

وقال الخطيب الشربيني[٥]: "بنعمة" أي بسبب إنعام (ربك)".

---

١ انظر الوجيز ٥/٤٤٤.

٢ تفسير أبي السعود ٣/٢١٨-٢١٩.

٣ البحر المحيط ٧/١٠٥.

٤ البحر المحيط ٨/٣٠٢.

٥ السراج المنير في التفسير ٤/٣٥١.

ب- الواو:

وهي أكثر حروف القسم استعمالاً من غيرها، قال سيبويه[1]: "وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به".

ولعل سيبويه أراد بقوله: "يدخلان على كل محلوف به" أي على لفظ الجلالة وغيره من الأسماء الظاهرة، وإلاّ فإن الواو لا تدخل على المضمر كما هو معلوم لدى النحاة وسيأتي بيان ذكره.

وقد ذكر النحاة[2] أن الواو جاءت في القسم بدلا من الباء، ولعل السبب الذي دفع النحاة إلى القول بهذا الأمر، هو وجود علاقة بين الباء والواو، وهذا ما يشير إليه بعض النحويين، إذ يقول ابن يعيش[3]: "فالواو بدلٌ من الباء؛ لأنهم أرادوا التوسع بكثرة الأيمان، وكانت الواو أقرب إلى الباء لأمرين: أحدهما: أنها من مخرجها؛ لأن الواو والباء جميعا من الشفتين، والثاني: أن الواو للجمع، والباء للإلصاق، فهما متقاربان؛ لأن الشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه، فلما وافقتها في المعنى والمخرج حُملت عليها، وأنيبت عنها، وكثر استعمالها حتى غلبتها".

وهذا قول جمهور النحاة، خلافا للسهيلي[4] فقد ذهب إلى القول بأنها ليست بدلا من الباء، وإنما هي حرف عطف.

قال ابن أبي الربيع[5]: "ولا أعلم بين النحويين في هذا خلافا: أن الأصل الباء، وأن الواو بدل من الباء إلاّ السهيلي، فإنه رد على جميع النحويين، وقال: ليست الواو بدلا من الباء؛ لأنها لو كانت بدلا للزمها، أن تكون مكسورة، كما كانت الباء كذلك".

---

1 الكتاب ٣/٤٩٦.

2 انظر: المقتضب ١/٤٠، ٢/٣١٨، وسر صناعة الاعراب ١/١٤٤، والكافية ٢/٣٣٤، وشرح الجمل لابن عصفور ١/٥٢٥، وهمع ٤/٢٣٦-٢٣٨.

3 شرح المفصل ٩/٩٩.

4 انظر قوله في: البسيط في شرح الجمل لابن أبي الربيع ٢/٩٢٥، وارتشاف الضرب ٢/٤٨١، وهمع ٤/٢٣٦-٢٣٧.

5 البسيط في شرح الجمل ٢/٩٢٥.

وقد تعقب أبو حيان قول السهيلي ورد عليه بقوله[1]: "وزعم السهيلي أن (واو) القسم هي في الاصل "واو" العطف، ولا يقوم دليل على صحة شيء من هذه المذاهب، ولو كان أصلها العطف، لم يدخل عليها واو العطف في قول الشاعر[2]:

"أرِقْتُ فلمْ تَخْدَعْ بعيْنيَ خدْعَةً ووالله ما دهْري بعشْق ولا سقَمْ"

ويعلل ابن سيده كثرة استعمال الواو مع أنها بدل من الباء والباء أصل لها، بقوله[3]:"وجعلوا الواو بدلا من الباء، وخصوا بها القسم، لأنها من مخرج الباء، واستعملوا الواو أكثر من استعمالهم الباء، لأن الباء تدخل في صلة الأفعال في القسم وغيرها، فاختاروا الواو في الاستعمال لانفرادها بالقسم".

وقد ذكر النحاة[4] للواو شروطا ثلاثة هي:

١- حذف فعل القسم معها وجوبا:

نحو قوله تعالى: ؛ **والله ربّنا ما كُنّا مُشْركين** ؛ (الأنعام ٢٣).

فلا يجوز أن يقال:"أقسم والله".

وهذا ما عليه جمهور النحاة، وخالفهم ابن كيسان[5] فأجاز إظهار الفعل معها، وقد تعقبه ابن عصفور بقوله[6]:"وهذا لاينبغي أن يجوز، كما لم يجز مع سائر حروف القسم التي ليس استعمالها بحق الأصالة، ولايحفظه أحد من البصريين، فإن جاء شيء من ذلك فينبغي أن يتأول على أن يكون أقسم كلاما تاما، ثم أتي بعد ذلك بالقسم، ولايجعل (والله) متعلقا بأقسم".

٢- لاتستعمل في قسم الطلب، فلايقال: والله أخبرني.

٣- لا تدخل على الضمير[7]، فلا يجوز: "وك" بينما يجوز "بك".

---

[1] ارتشاف الضرب ٤٨١/٢

[2] البيت قائله راشد بن شهاب اليشكري - ديوان المفضليات ٦١١.

[3] المخصص ١١٠/١٣ .

[4] انظر أقوالهم في: البسيط في شرح الجمل ٩٢٥/٢، والكافية ٣٣٤/٢، والمغني ٥٧٩/١. والهمع ٢٣٦/٤.

[5] انظر قوله هذا في: شرح الجمل لابن عصفور ٥٢٦/١، وارتشاف الضرب ٤٧٧/٢، والهمع ٢٣٦/٤.

[6] شرح الجمل ٥٢٦/١

[7] انظر: شرح المفصل ٣٤/٨، والكافية ٣٣٤/٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٥٢٥/١.

وعلل ابن يعيش عدم دخول الواو على المضمر بقوله[1]: "ولما كانت الـــواو بدلا من الباء، والبدل ينحط عن درجة الاصل، فلذلك لاتدخل إلا على كل ظـــاهر، ولاتدخل على المضمر، لانحطاط الفرع عن درجة الأصل، لأنه من المرتبة الثانية".

وقد جاءت الواو في الذكر الحكيم دالة على القسم في خمسة وثلاثين موضعا، وكانت في كل هذه المواضع مجردة عن الفعل، مما يؤيد قول الجمهـــور بوجـــوب حذف الفعل معها.

وجاء القسم في جُلّ هذه المواضع بمخلوقات الله تعالى، من ذلك قوله تعالى: ؛ **والسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ** ؛ (البروج ١).

وقوله تعالى: ؛ **والنَّجمِ إِذَا هَوَى** ؛ (النجم ١).

وقوله: ؛ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ** ؛ (التين ١).

وفي تسعة مواضع[2] جاء القسم فيها بـــ(الرّب)، من ذلـــك قولـــه تعـــالى: ؛ **فوربِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم** ؛ (مريم ٦٨).

وقوله تعالى: ؛ **فَلا وربِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُـــوكَ فِيمَـــا شَـــجَرَ بَيْنَهُـــمْ** ؛ (النساء ٦٥).

وفي خمسة مواضع[3] جاء القسم فيها بالقران الكريم من ذلك قولـــه تعـــالى: ؛ **ص، والقرآنِ ذِي الذكر** ؛(ص٢)

وقوله تعالى:؛ **ق، والقرآنِ المجيدِ** ؛(ق:١)

وفي موضع واحد فقط، جاء القسم فيه بلفظ الجلالة "اللّه" ، وذلك قوله تعالى: ؛ **ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا واللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ** ؛ (الأنعام ٢٣).

وفي هذا رد على قول كاظم الراوي[4]: "وأما الواو فلم يرد فى القرآن الكريم مقترنا بلفظ الجلالة "الله" ".

---

[1] شرح المفصل ٣٤/٨.

[2] انظر بقية المواضع في: ٣٠/٦، ٥٣/١٠، ٩٢/١٥، ٣/٣٤، ٣٤/٤٦، ٢٣/٥١، ٧/٦٤.

[3] انظر بقية المواضع في ١/٤٣-٢، ١/٤٤-٢، ١/٣٦-٢.

[4] أساليب القسم في اللغة العربية ٥١٠.

وقد اختُلف في الواو أتفيد العطف أم القسم في قوله تعالى: ﴿ واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ (النساء ١).

قال الأنباري[١]: "الأرحامِ"، قرئ بالنصب والجر[٢]، فمن قرأ بالنصب، جعله معطوفا على اسم الله تعالى وتقديره: واتقوا اللّه واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ومن قرأها بالجر، فقد قال الكوفيون إنه معطوف على الهاء في (به)،... ومنهم من ذهب إلى أن (الأرحامِ) مجرور بالقسم".

وقال أبو حيان[٣]: "وذهبت طائفة إلى أن الواو في والأرحامِ واو القسم لا واو العطف، والمتلقى به القسم هي الجملة بعده".

وقوله تعالى: ﴿ قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا من البيِّنات والذي فَطَرَنا، فاقْضِ ما أنْتَ قاضٍ؛ إنما تقْضي هذه الحياةَ الدنيا ﴾ (طه ٧٢).

قال ابن الأنباري[٤]: "والذي فطرنا، في موضع جر من وجهين: أحدهما: أن يكون مجرورا بالعطف على (ما جاءنا)، أي (على الذي جاءنا وعلى الذي فطرنا).

والثاني: أن يكون مجرورا على القسم".

ويرى الباحث- والله أعلم- أن سياق المقام هنا يقتضي أن تكون الواو هنا واو القسم، ذلك أن الموقف موقف تحدّ من السحرة المؤمنين لفرعون وجبروته، فاقتضى الموقف التأكيد بالقسم.

وإذا تكرّرت الواو في القسم، فإن الواو الأولى هي واو القسم، والواوات الأخرى للعطف[٥]، نحو قوله تعالى:: ﴿ واللَّيْلِ إذا يَغْشى، والنَّهارِ إذا تجلّى، ومَا خَلَقَ الذَّكرَ والأُنْثى ﴾ (الليل ١-٣).

---

١ البيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٤٠.

٢ قراءة الجر قرأ بها حمزة، انظر إتحاف فضلاء البشر ١٨٥.

٣ البحر المحيط ٣/١٦٧.

٤ البيان في غريب إعراب القرآن ٢/١٤٨-١٤٩.

٥ انظر هذه المسألة في: المقتضب ٢/٣٣٦-٣٣٧، ومعاني القرآن للأخفش ٢/٧٤٠، والمفصل للزمخشري ٤٨٨، وشرح الجمل لابن عصفور ١/٥٣٠-٥٣١، وارتشاف الضرب ٢/٤٩٥-٤٩٦، والمغني ١/٥٧٩-٥٨٠.

قال المبرد[1]: "واعلم أن القسم لا يقع إلاّ على مقسم به، ومقسم عليه، وأن قوله عز وجل: ﴿ **واللّيل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى، وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ (الليل ١-٣)، أن الواو الأولى واو قسم، وما بعدها من الواوات للعطف لا للقسم، ولو كانت للقسم، لكان بعض هذا الكلام منقطعا من بعض، وكان الأول إلى آخر القسم على غير محلوف عليه، فكان التقدير: "والليل إذا يغشى"، ثم ترك هذا، وابتدأ (والنهارِ إذا تجلى)، ولكنه بمنزلة قولك: والله ثم والله لأفعلنّ".

وقد ذكر النحاة[2] حروفا تعوّض عن الواو في حالة حذفها، قال الزمخشري[3]: "وتحذف الواو، ويعوض عنها حرف التنبيه، في قولهم: لا هاللهِ ذا، وهمزة الاستفهام في آلله، وقطع همزة الوصل في أفاللّه".

ولم ترد هذه الحروف في لغة التنزيل، إلاّ في قراءة[4] للحسن البصري وغيره لقوله تعالى: ﴿ **ولا نكتُم شهادة الله إنّا إذا لمن الآثمين** ﴾ (المائدة ١٠٦).

قال أبو حيان[5]: "وروي عن "علي"، و"السلمي" و"الحسن البصري"، (شهادة) بالتنوين (آلله) بالمد في همزة الاستفهام، التي هي عوض من حرف القسم، دخلت تقريرا وتوقيفا لنفوس المقسمين، أو لمن خاطبوه، وروي عن "الشعبي" وغيره أنه كان يقف على (شهادة) بالهاء الساكنة (الله) بقطع ألف الوصل، دون مد الاستفهام، قال ابن جني: "الوقف على (شهادهْ) بسكون الهاء واستئناف القسم حسن، لأن استئنافه في أول الكلام أوقر له، وأشد هيبة من أن يدخل في عرض القول".

جـ- التاء

يذكر النحاة[6] أن التاء جاءت بدلاً من الواو في القسم، قال ابن يعيش[7]:

---

١ المقتضب ٢/٣٣٦-٣٣٧.

٢ انظر هذه المسألة في: اللمع لابن جني ١٨٥/ وشرح الكافية ٢/٣٣٥، والجمل للزجاجي ٧٢، وارتشاف الضرب ٢/٤٧٧.

٣ المفصل ٤٨٨.

٤ انظر هذه القراءة في: إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ١/٢٣٠، والكشاف للزمخشري ١/٦٥١، والبحر لأبي حيان ٤/٤٨.

٥ البحر ٤/٤٨.

٦ انظر ذلك في: المقتضب ٢/٣٢٠، والمفصل ٣٨٣، وشرح الجمل لابن عصفور ١/٥٢٥، والمغني ١/١٩٥.

٧ شرح المفصل ٩/٩٩.

"والتاء بدل من الواو، واختص ذلك بالقسم، وإنما أبدلت منها، لأنها قد أبدلت منهـــا كثيرا، نحو قولهم: تجاه وتراث، وهما فعال من الوجه والوراثة، وقالوا تكأة وتخمة، وهو فعلة من توكأت والوخامة، وقالوا تقوى وتقاة، وهو فعلى وفعلة من الوقاية وهو كثير، يكاد يكون قياسا لكثرته".

وذهب قطرب[1] إلى القول بأنها حرف مستقل وليست بدلا من الواو.

وذكر النحاة[2] أن التاء تختص بالدخول على لفظ الجلالة "اللّه" لا غير، قـــال سيبويه[3]: "وكما أن التاء لا تجرّ في القسم ولا في غيره إلاّ في اللّه، إذا قلت: تاللّـــه لأفعلنّ".

وقال المبرد[4]: "تقول: والله لأفعلنّ، وتاللّه لأفعلنّ وتبدل التاء من الواو، ولا تدخل من المقسم به إلاّ في (اللّه) وحده".

وقد حمل السيوطي[5] دخول الباء على غير لفظ الجلالة "اللّه" على الشـــذوذ، وذلك في مثل تالرّحمن وتربّ الكعبة، وتحياتك".

وهي من الحروف التي لا يذكر معها فعل القسم، وقد تفيد معنى التعجب.

قال سيبويه[6]: "وقد تقول: تالله! وفيها معنى التعجب".

وقد وردت تاء القسم في الذكر الحكيم في تسعة مواضع، واقترنت التاء فـــي كل تلك المواضع بلفظ الجلالة "اللّه" وأفادت معنى التعجب في بعض تلك المواضع، من ذلك[7] قوله تعالى: ﴿ **تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ** ﴾ (يوسف ٧٣).

قال الزمخشري[8]: "تاللّه" قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم".

---

[1] انظر: المجمع ٤/٢٣٨.

[2] انظر: المفصل ٣٨٣، وشرح المفصل ٨/٣٤، ورصف المباني للمالقي ١٧٢، والجنى الداني ٥٧، والمغني ١/١٩٥.

[3] الكتاب ١/٥٩.

[4] المقتضب ٢/٣٢٠.

[5] المجمع ٤/٢٣٥.

[6] الكتاب ٣/٤٩٧.

[7] انظر بقية المواضع في: ١٢/٨٥، ١٢/٩١، ١٢/٩٥، ١٦/٥٦، ١٦/٦٣، ٢٦/٩٧، ٣٧/٥٦.

[8] الكشاف ٢/٣٣٤.

وقال أبو حيان[1]: "وأقسموا بالتاء من حروف القسم؛ لأنها تكون فيها التعجب غالبا، كأنهم عجبوا من رميهم بهذا الأمر".

وقوله تعالى: ؛ وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ؛ (الأنبياء ٥٧).

قال الزمخشري[2]: "فإن قلت: ما الفرق بين الباء والتاء؟ قلت: إن الباء هي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمرا مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره، ولعمري إن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره".

ثالثا: المقسم به

قال ابن عصفور[3]: "والمقسم به كل اسم لله أو لما يُعظّم من مخلوقاته، نحو: بالله ليقومنّ زيد".

وقد ورد المقسم به في الذكر الحكيم في سبعين موضعا اسما ظاهرا، ولم يأت ضميرا قطّ. فمن ذلك ورد لفظ الجلالة "الله" مقسما به في الذكر الحكيم في ستة وعشرين موضعا، منها ما جاء قسما صادرا من المولى جلّ وعلا، وذلك في قوله تعالى: ؛ تالله لتسئلنّ عمّا كنتم تفترون ؛ (النحل ٥٦).

وقوله تعالى: ؛ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك، فزيّن لهم الشّيطانُ أعمالهم ؛ (النحل ٦٣).

ومنها ما صدر من الأنبياء والمؤمنين، من ذلك قوله تعالى على لسان نبيّه إبراهيم عليه السلام، مخاطبا قومه: ؛ وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين ؛ (الأنبياء ٥٧).

---

[1] البحر ٥/٣٢٧.

[2] الكشاف ٢/٥٧٦.

[3] شرح الجمل لابن عصفور ١/٥٢٢.

ومن ذلك ما حكاه الله عزّ وجل عن قول إخوة يوسف لأبيهم عليه السلام: ؛ قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ؛ (يوسف ٨٥).

ومنها ما صدر من المنافقين والكافرين وحكاه القرآن عنهم، من ذلك قوله تعالى: ؛ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ؛ (الأنعام ٢٣).

وقوله تعالى: ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ ؛ (النحل ٣٨).

وقوله تعالى عن المنافقين: ؛ وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ؛ (التوبة ٥٦).

ووردت لفظة "ربُّ" مقسماً به في عشرة مواضع، منها ما هو صادر من المولى عز وجل، وفيها وردت لفظة "ربُّ" في ثلاثة مواضع مضافة إلى ضمير المخاطب المفرد، والمقصود به الرسول- صلى الله عليه وسلم- وتلك الإضافة تشريف وتكريم للرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو قوله تعالى: ؛ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ؛ (النساء ٦٥).

وقوله تعالى: ؛ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ؛ (الحجر ٩٢).

وقوله: ؛ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جِهَنَّمَ جِثِيًّا ؛ (مريم ٦٨).

كل هذه المواضع جاءت في سياق الحديث عن المنافقين والكافرين، وفي ذلك إشارة إلى أن الله هو الربّ العظيم الأوحد المستحق لأن يُقسم به وحده لا بغيره، وأن "أرباب المشركين ليست جديرة بأن يُقسم بها، أو تكون محل الإجلال والتقدير"[1].

ووردت في ثلاثة مواضع أخرى مضافة إلى ضمير المتكلم النبي- صلى الله عليه وسلم- وقد أمره المولى عز وجل أن يقسم به. وذلك في قوله تعالى: ؛ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ، قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ؛ (يونس ٥٣).

وقوله: ؛ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ؛ (سبأ ٣).

---

[1] المشاهد في القرآن الكريم، د. حامد صدقي قنيبي ٤٤٥.

وقوله: ؛ زعم الذين كفروا أنْ لنْ يُبْعثُوا قُلْ بلى وربّي لتُبْعثُنّ ثم لتُنبّؤُنّ بما عملتم وذلك على الله يسير ؛ (التغابن ٧).

وقد وردت كل تلك المواضع في سياق الرد على الكافرين والمنكرين للبعث والحساب.

ووردت "لفظة "رب"، في موضعين مضافة إلى ضمير جمع المتكلمين ، وذلك فيما حكاه القرآن على لسان الكافرين يوم القيامة قوله: ؛ ويوم يُعْرَضُ الذين كفروا على النّار أليْس هذا بالحقّ، قالُوا بلى وربّنا، قال فذوقُوا العذابَ بما كُنْتُم تكْفُرون ؛ (الأحقاف ٣٤).

وقوله تعالى: ؛ ولَوْ ترى إذْ وُقفُوا على ربّهم قالَ أليْسَ هذا بالحقّ قالوا بلى وربّنا قالَ فذُوقُوا العذاب بما كُنْتُم تكْفُرُون ؛ (الأنعام ٣٠).

ووردت في موضعين أخرين مضافة تارة إلى السماء والأرض وتارة أخرى إلى المشارق والمغارب.

وذلك قوله تعالى: ؛ فوربّ السّماءِ والأرْضِ إنّهُ لحقٌ مثْل ما أنّكم تنْطقُون ؛ (الذاريات ٢٣).

"وقد جاء هذا القسم على وجه التأكيد والتقرير والإعظام إشارة إلى خضوع السماء والأرض لأمر الله، ومن كان هذا أمره لا يزج باسمه إلاّ فيما هو حق لا مرية فيه"[١].

وقوله تعالى: ؛ فلاَ أُقْسمُ بربّ المشَارق والمغارب إنّا لقادرُون على أنْ نُبدّلَ خيْرا منْهُم وما نحنُ بمسْبُوقين ؛ (المعارج ٤٠).

"فالإضافة توحي بالقدرة البالغة التي تُسخّر الشموس والأقمار والنجوم فتشرق وتغرب في دقّة وإحكام"[٢].

وورد القسم بالعزّة في موضعين في التنزيل هما: ما حكاه القرآن على لسان سحرة فرعون "وقالوا بعزّة فرعونَ إنّا لَنَحْنُ الغالبون" الشعراء/٤٤.

---

١ المشاهد في القرآن. د. حامد مسي ٤٤٤.

٢ المصدر نفسه ٤٤٥.

وما حكاه عن إبليس لعنه الله: ؛ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ؛ (ص ٨٢-٨٣).

وورد القسم بالقرآن الكريم صادرا من المولى عز وجل في ستة مواضع، من ذلك قوله تعالى: ؛ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ؛ (ص: ١-٢).

وقوله تعالى: ؛ حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ؛ (الزخرف ١-٣).

وقوله تعالى: ؛ ق، وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ؛ (ق: ١-٢).

والآيات التي ورد ذكر القرآن فيها مقسما به كلها مكية، "وقد أكّد سبحانه على القرآن الكريم في هذه الآيات المكية ليلفت النظر ويفنّد مزاعم القوم فيه"[١].

وقد أقسم عز وجل بحياة رسوله- صلى الله عليه وسلم- فقال: ؛ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ؛ (الحجر ٧٢).

وأقسم تعالى بالأمكنة والأزمنة فقال: ؛ لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ؛ (البلد ١-٤).

وقال تعالى: ؛ وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ، وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ؛ (الطور ١-٧).

وقال تعالى: ؛ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ؛ (العصر ١-٢).

وأقسم بيوم القيامة فقال: ؛ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ؛ (القيامة ١-٤).

وأقسم تعالى بكثير من مخلوقاته، فأقسم بالنفس، والرياح والخيل والطير، والقلم، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنجوم والبحر... إلخ.

من ذلك قوله تعالى: ؛ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا ؛ (الشمس ١-٢).

---

[١] أساليب القسم في اللغة العربية، كاظم الراوي ٣٨٦.

؛ واللّيْل إذا يغْشى، والنّهار إذا تَجلّى، وما خلَقَ الذّكر والأنْثى، إنّ سعْيكُمْ لشَتّى ؛ (الليل ١-٤).

وقوله تعالى: ؛ والسّماء والطّارق، وما أدْراك ما الطارق ؛ (الطارق ١-٢).

وقوله تعالى: ؛ والسّماء ذات الرّجْع والأرض ذات الصّدع ؛ (الطارق ١١-١٢).

وقوله تعالى: ؛ والنّجم إذا هَوى، ما ضلّ صاحبُكم وما غوى ؛ (النجم ١-٢).

وقوله تعالى: ؛ كلاّ والقمر، والليل إذْ أدبر، والصُبح إذا أسْفر، إنّها لإحدى الكُبر ؛ (المدثر ٣٢-٣٥).

وقوله تعالى: ؛ نّ، والقلم وما يسطُرون، ما أنتَ بنعمةِ ربّك بمجْنون ؛ (القلم ١-٢).

وقوله تعالى: ؛ والصّافاتِ صفّا، فالزّاجراتِ زجْرا، فالتّالياتِ ذكرا، إنّ إلهَكم لواحد ؛ (الصافات ١-٤).

والمقصود بالصافات والزاجرات والتاليات الملائكة[1].

"والقسم بخلائق الله ومشاهده الكونية توجيه للقلب إليها وتدبر ما وراءها من إبداع وقدرة وتدبير، وليس مراد القسم تقديس المقسم به، إلاّ أن يكون المقسم به هو الله تعالى"[2]. "كما أن فيها استدلالاً ولفتاً للنظر إلى آيات الله وكمال قدرته وبديع صنعه"[3].

ب- الجملة الاسمية:

ذكر النحاة[4] أن الجملة الاسمية القسمية تأتي على ضربين هما:

الأول: أن يأتي المبتدأ فيها متعيناً للقسم: نحو: لعمرُك، وأيمنُ الله ، وهذا يجب حذف خبره.

---

[1] انظر: الكشاف ٣/٣٣٣.

[2] المشاهد في القرآن الكريم ٤٤٢.

[3] أساليب القسم في اللغة العربية، ناظم الراوي ٣٨٢.

[4] انظر: ارتشاف الضرب ٤٧٩/٢، وشرح الكافية ٣٣٦/٢، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ٢١٦/١، وهمع ٤٣/٢.

الثاني: أن يكون المبتدأ غير متعين للقسم، نحو: أمانةُ اللّه، وعهدُ اللّه، وهذا يجوز حذف خبره وإثباته.

قال الاستراباذي[1]: "فإن كانت القسمية اسمية، فإما أن يتعين الاسم الذي جعلته مبتدأ للقسم، كايمن الله، ولعمرك أو"لا" فإن تعين وجب حذف الخبر كما مر في باب المتبدأ، لدلالة ذلك اللفظ على تعيين الخبر، وهو ما أقسم به، وسد الجواب مسد الخبر، وإن لم يتعين للقسم كـ (أمانةُ اللّه) و(عهدُ اللّه) ، و(يمينُ اللّه)، جاز لك حذف الخبر وإثباته، نحو: أمانةُ اللّه ويمينُ اللّه وعهدُ اللّه لأفعلنّ".

وقد وردت جملة القسم الاسمية في الذكر الحكيم في موضع واحد فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر ٧٢).

وقد ورد في المعاجم اللغوية أنّ معنى (العمْرُ) هو الحياة.

قال الجوهري[2]: "عمر الرجل بالكسر، يعمُر عمْرا وعُمْرا على غير قياس، لأن قياس مصدره التحريك، أي عاش زمانا طويلا، ومنه قولهم: أطال الله عُمْرَك، وعمرك، وَهُماوإن كانا مصدرين بمعنى"، إلاّ أنه استعمل في القسم أحدهما وهو المفتوح، وإذا قلت عَمْرُك اللهَ، فكأنك قلت: بتعميرك الله، أي بإقرارك له بالبقاء".

وقال ابن منظور[3]: "العَمْرُ والعُمْرُ والعُمُرُ: الحياة، يقال: قد طال عَمْرُه وعُمْرُه، لغتان فصيحتان، فإذا أقسموا فقالوا: لَعَمْرُك، فتحوا لا غير، والجمع أعمار، وسُمّي الرجل عَمْرا تفاؤلا أن يبقى".

وذكر ابن منظور قولا لأبي الهيثم[4]: "أنّ معنى لَعَمْرُك لَدينك الذي تَعْمُر".

وذهب المفسرون[5] أيضا إلى أن المقصود بـ (لعمرك) في الآية الكريمة الآنفة الذكر، هو حياتك، وأن المولى عز وجل قد أقسم بحياة رسوله- صلى الله عليه وسلم- غير أنهم قد اختلفوا من المقصود بكاف الخطاب في (لعمرك).

---

[1] شرح الكافية ٣٣٦/٢.

[2] الصحاح ٧٥٦/٢.

[3] اللسان ٦٠١/٤.

[4] انظر: اللسان ٦٠١/٤.

[5] انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١٠، والتفسير الكبير للرازي ١٥٦/٧، والبحر لأبي حيان ٤٤٩/٥.

أهو الرسول- صلى الله عليه وسلم- أم هو لوط عليه السلام؟

قال أبو حيان[1]: "واللام في لعمرك، لام الابتداء، والكاف خطاب للوط- عليه السلام-، والتقدير: قالت الملائكة للوط: لعمرك،... وقيل: الخطاب للرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو قول الجمهور، ابن عباس وأبو الحوراء، وغيرهما، أقسم تعالى بحياته تكريما له".

وقد ذهب النحاة[2] إلى أن اللام في لعمرُك، لام الابتداء، وأنّ " عَمْرُك " مرفوع على الابتداء، وخبره محذوف وجوبا تقديره "قسمي".

قال ابن يعيش[3]: "وأما الجملة الاسمية، فقولك: لعمرك، ولعمرُ أبيك، ولعمرُ الله، فعمرُك مبتدأ، واللام فيها لام الابتداء، والخبر محذوف، وتقديره: قسمي أو حلفي، وحذفوه لطول الكلام بالمقسم عليه، ولزم الحذف لذلك، كما لزم حذف الخبر في قولك لولا زيدٌ لكان كذا، لطول الكلام بالجواب".

وما ذكره ابن يعيش هو قول جمهور النحاة، وخالفهم في ذلك ابن عصفور[4]، حيث جعل عَمْرُك خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: قسمي.

المبحث الثاني: القسم المضمر

"وهو مالم يذكر معه القسم صريحا أو ظاهرا"[5]، وهذا القسم نوعان هما:

أ- ما دلّت عليه اللام وهو ثلاثة أقسام[6]:

أن تكون اللام مقترنة بأداة الشرط، أو أن تكون مقترنة بـ (قد) أو مقترنة بفعل مضارع مؤكد بالنون.

---

[1] البحر المحيط ٥/٤٤٩.

[2] انظر: اللمع لابن جني ١٨٧، وشرح المفصل ٩/٩١، وشرح الجمل لابن أبي الربيع ٢/٩٤٣، وارتشاف الضرب ٢/٤٧٩.

[3] شرح المفصل ٩/٩١.

[4] انظر قوله في: المقرب ١/٢٠٧، وشرح الجمل ١/٥٣٣.

[5] التراكيب اللغوية في العربية. د. هادي نهر ٢٤٠.

[6] انظر: أساليب القسم في اللغة العربية، كاظم الراوي (٣٦-٣٩) بتصرف.

قال ابن هشام[1]: "وحيث قيل: "لأفعلنّ"، أو "لقد فعل"، أو "لئن فعل"، ولم يتقدم جملة قسم، فثم جملة قسم مقدّرة، نحو: ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدا ﴾ (النمل ٢١)، ﴿ وَلَقَد صَدَقَكُم اللهُ وَعْـدَهُ ﴾ (آل عمران ١٥٢)، ﴿ لَئِـنْ أُخْرِجُـوا لاَ يَخْرُجُـونَ مَعَهُـم ﴾ (الحشر ١٢)."

ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

١- أن تكون اللام مقترنة بأداة الشرط، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَـا رَبُّنَـا وَيَغْفِـرْ لَنَـا لَنَكُونَـنَّ مِـنَ الخَاسِرِين ﴾(الأعراف ١٤٩).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ (التوبة ٦٥).

٢- أن تكون اللام مقترنة بـ (قد):

وقد ورد ذلك في الذكر الحكيم في مئة واثنين وثمانين موضعا. من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الأنعام ٩٤).

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب ٢١).

٣- أن تكون مقترنة بالفعل المضارع المؤكّد بالنون ، ورد ذلك في الذكر الحكيم، في مئة وسبعة وخمسين موضعا، منها قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِـلَ إِلَيْهِـمْ، وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف ٦).

وقوله تعالى: ﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُـهُ أَيْدِيكُـمْ وَرِمَـاحُكُمْ ﴾ (المائدة ٩٤).

قال الأخفش[2]: "وقال: (ليبلونكم الله بشيء من الصيد) على القسم، أي: والله ليبلونكم، وكذلك هذه اللام التي بعدها النون لا تكون إلاّ بعد القسم".

---

[1] المغني ٣٨٧/٢.

[2] معاني القرآن ٤٧٦/٢.

ب- ما كانت ألفاظه جارية مجرى القسم أو دلّ عليه المعنى: قال ابن يعيش[1]: "واعلم أن من الأفعال أفعالا فيها معنى اليمين، فتجري مجرى أحلف، ويقع الفعل بعدها كما يقع بعد والله، وذلك نحو: "أشهد وأعلم واليت".

وقد وردت هذه الأفعال التي قال عنها النحاة والمفسرون أنها تجري مجرى اليمين في مواضع متعددة في الذكر الحكيم، من هذه المواضع:

١- أخذ الميثاق:

قال تعالى: ؛ **وَإِذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُم منْ كتاب وحِكْمَة، ثُمَّ جاءكُم رسُولٌ مُصدِّقٌ لما معكُم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرُنَّهُ** ؛ (آل عمران ٨١).

قال ابن الأنباري[2]: "لما، قريء بفتح اللام وكسرها، ومن فتح اللام جعلها لام الابتداء وهي جواب لما دل عليه الكلام من معنى القسم؛ لأن أخذ الميثاق إنما يكون بالأيمان والعهود".

وقال الزمخشري[3]: "واللام في (لما آتيتكم) لام التوطئة؛ لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف، وفي لتؤمنن لام جواب القسم".

٢- تأذّنَ:

وذلك في قوله تعالى: ؛ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عليهم إلى يوم القيامة مَنْ يسُومُهُم سُوءَ العذاب** ؛ (الأعراف ١٦٧).

قال الزمخشري[4]: "تأذن ربُّك" عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام، لأن العازم على الأمر يُحدّثُ نفسه به ويؤذنها بفعله، وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم، وهو قوله (ليبعثنّ)".

٣- تمت كلمة ربك:

قال تعالى: ؛ **وَتَمَّتْ كلمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ من الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِين** ؛ (هود ١١٩).

---

١ شرح المفصل ٩١/٩.

٢ البيان في غريب إعراب القرآن ٢٠٩/١.

٣ الكشاف ٤٤١/١.

٤ الكشاف ١٢٧/٢.

قال أبو حيان[1]: "تمت كلمة ربك" أي نفد قضاؤه وحق امره ، واللام في (لأملأن) هي التي يتلقى بها القسم، والجملة قبلها ضمنت معنى القسم".

٤- عاهَد:

وذلك في قوله تعالى: ؛ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَايُوَلُّونَ الأَدْبَارَ ؛ (الأحزاب ١٥).

قال ابن الأنباري[2]: "عاهدوا الله، بمنزلة القسم، ولا يولّون الأدبار جوابه".

٥- قَضَيْنَا:

وذلك قوله تعالى: ؛ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ؛ (الإسراء ٤).

قال الزمخشري[3]: "و(لَتُفْسِدُنَّ) جواب قسم محذوف، ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم، فيكون لتفسدن جوابا له، كأنه قال: وأقسمنا".

وقال أبو حيان[4]: "يجوز أن يكون قضينا أجري مجرى القسم، ولتفسدن جوابه، كقولهم: قضاء الله لأقومنّ".

٦- كَتَبَ:

من ذلك قوله تعالى: ؛ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ؛ (الأنعام ١٢).

قال ابن الأنباري[5]: "اللام في (ليجمعنّكم) لام جواب القسم، وهي جواب (كتب)، لأنه بمعنى أوجب، ففيه معنى القسم".

وقوله تعالى: ؛ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي، إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ؛ (المجادلة ٢١).

---

١ البحر ٥/٢٧٣.

٢ البيان ٢/٢٦٥.

٣ الكشاف ٢/٤٣٨.

٤ البحر ٦/٨.

٥ البيان ١/٣١٥.

قال ابن الأنباري[1]: "كتب"، أجري مجرى القسم، ولهذا أجيب بما يجاب به القسم، فقيل: (لأغلبنّ).

٧- وعد:

قال تعالى: ؛ وعد اللهُ الّذينَ آمنُوا منْكُم وعَملُوا الصّالحَات لَيَستَخلفَنّهُم في الأرْض ؛ (النور ٥٥).

قال الزمخشري[2]: "فإن قلت: أين القسم المتلقى باللام والنون في (ليستخلفنّهم)، قلت: هو محذوف تقديره: وعدهم اللّه، وأقسم ليستخلفنهم، أو نُزّل وعد اللّه في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم، كأنه قيل: أقسم اللّه ليستخلفنّهم".

وقال أبو حيان[3]: "واللام في (ليستخلفنّهم) جواب قسم محذوف."

٨- يشهد:

قال تعالى: ؛ إذَا جاءكَ المُنَافقُونَ، قَالُوا نَشْهَدُ إنّكَ لَرَسُولُ الله، واللهُ يَعْلَمُ إنّكَ لَرَسُولُهُ، واللهُ يَشْهَدُ إنّ المنافقين لَكاذبُونَ ؛ (المنافقون ١).

قال سيبويه[4]: "واعلم أن من الأفعال أشياء فيها معنى اليمين، يجري الفعل بعدها مجراه بعد قولك:واللّه، وذلك قولك: أقسم لأفعلنّ، وأشهد لأفعلنّ".

وقال الزمخشري[5]: "يجوز أن يراد أن قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة، لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، يقول الرّجل:أشهد وأشهد بالله، وأعزم، وأعزم بالله في موضع أقسم وأولى، وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين".

---

١ البيان ٢/٤٢٧.

٢ الكشاف ٣/٧٣-٧٤.

٣ البحر ٦/٤٣١.

٤ الكتاب ٣/١٠٤.

٥ الكشاف ٤/١٠٨.

وقال أبو حيان[1]: "قالوا نشهد" يجري مجرى اليمين، ولذلك تلقي بما يتلقى به القسم".

والذي يُعزّز لنا بان الفعل يشهد في هذا السياق، تضمن معنى القسم، قوله تعالى: ؛ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُم جُنَّةً ؛، حيث سمى المولى عز وجل شهادتهم تلك أيمانا.

٩- يَعْلَمُ:

قال تعالى: ؛ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ؛ (يس ١٦).

قال سيبويه[2]: "ومثل ذلك يعلم الله لأفعلنّ، وعلم الله لأفعلن، فإعرابه كإعراب يذهب زيد، وذهب زيد، والمعنى: والله لأفعلنّ".

وقال المُبرّد[3]:" كما أن قولك: علم الله لأقومنّ إنّما لفظه لفظ رزق الله، ومعناه القسم. لانك في قولك: (علم) مستشهد".

وقال الزمخشري[4]: "وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم: شهد الله، وعلم اللّه"

ويرى الباحث مما سبق، أن هذه الأفعال قد ضُمنّت معنى القسم، وذلك أن التضمين شائع ومعروف في العربية. وقد ورد في لغة التنزيل في مواضع عديدة يقتضيها السياق القرآني ليس هذا محل ذكرها. وقد أفادت هذه الأفعال مايفيده القسم وهو التوكيد، قال إبراهيم السامرائي[5]: "وكأن في قوله تعالى: ؛ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ؛ (هود ١١٩) . وقوله تعالى: ؛ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ؛ (النور ٥٥) "إرادة وعزما وتصميما، وفي هذا من القوة ما في القسم الصريح".

والدليل على ذلك أيضا أن هذه الافعال قد أجيبت بما أجيب به القسم، قال أبو علي الفارسي[6]: "الألفاظ التي جرت في كلامهم مجرى القسم، حتى أجيبت بجوابه،

---

١ البحر ٢٦٧/٨.

٢ الكتاب ٥٠٤/٣.

٣ المقتضب ١٣٢/٢.

٤ الكشاف ٣١٨/٣.

٥ من أساليب القرآن ٦٣٠.

٦ إعراب القرآن للزجاج ٩٦٠/٣.

تستعمل على ضربين: أحدهما أن تكون كسائر الأخبار التي يقسم ، فلا تجاب كما لا تجاب الأخبار.

والآخر: أن يجري مجرى القسم ، فتجاب كما يجاب القسم". ولأن تُحمل هذه الجوابات على أقسام موجودة ، خير من حملها على أقسام محذوفة.

قال ابن عصفور[1]: "فإذا أمكن أن تحمل الكلام على ألا يكون فيه حذف كان أولى".

ومن أقسام هذا النوع من القسم أيضا، ما دلّ عليه المعنى، وقد ذكر بعض العلماء[2] من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾ (مريم ٧١). وأشاروا إلى أن هذه الآية قد تضمنت معنى القسم، قال ابن عطية[3]: "قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ حتم، والواو تقتضيه، يفسره قول النبي- صلى الله عليه وسلم[4]- "من مات له ثلاثة من الولد لم تمسه النار إلا تحلّة القسم".

وقد تعقبه أبو حيان بقوله[5]: "والواو في قوله (وإنْ منْكم) للعطف، وقال ابن عطية: (وإنْ منْكُمْ إلا واردُها) قسم، والواوتقتضيه، ويفسره قول النبي -صلى الله عليه وسلم- "من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم"، ... وقوله: والواو تقتضيه، يدل على أنها عنده واو قسم، ولا يذهب نحوي إلى أنّ مثل هذه الواو واو قسم، ولأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار، ولا يجوز ذلك".

وقد أوضح ابن هشام مراد ابن عطية من قوله السابق متعقبا في ذلك أبا حيان، فقال[6]: "ومما يحتمل جواب القسم (وإنْ منْكُمْ إلاّ واردُها كان على ربّكَ حتْماً مقضيا)، وذلك بأن تقدر الواو عاطفة على (ثُمّ لنحْنُ أعْلمُ) فانه وما قبله أجوبة لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ﴾، وهذا مراد ابن عطية من قوله: هو

---

[1] شرح جمل الزجاجي ٥٣١/١.

[2] انظر: المغني ٤٦/٢، المحرر الوجيز ٥١١/٩، البحر ١٩٧/٦، الجامع لأحكام القرآن ٩١/١١.

[3] المحرر الوجيز ٥١١/٩.

[4] الحديث رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب حديث رقم (١٢٥١)، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، حديث رقم ٦٦٣٩.

[5] البحر المحيط ١٩٧/٦.

[6] المغني ٤٦/٢.

قسم، والواو تقتضيه، أي هو جواب قسم والواو هي المحصلة لذلك، لأنها عاطفة، وتوهم أبو حيان عليه مالا يتوهم على صغار الطلبة، وهو أن الواو حرف قسم".

وقد ذهب إلى هذا القول أيضا القرطبي فقال[1]:"وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ هذا قسم، والواو يتضمنه، ويفسره حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم".

وقال ابن القيم الجوزية[2]: "القسم في القرآن العظيم على قسمين مظهر ومضمر، فالمظهر كما تقدم، والمضمر على قسمين ، ... والقسم الثاني ما دلّ عليه المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾، تقديره : واللّه إنْ منْكُم إلا واردُها، يدلُ على ذلك قوله –صلى الله عليه وسلم– لن تمسّهُ النار إلا تحلّة القسم – وله في القرآن نظائر".

ويرى الباحث – والله أعلم – أن الآية ليس فيها ما يجعلها تتعين للقسم، فالواو محتملة للعطف ومحتملة للاستئناف، وأما القول إن الواو واو قسم، فقد كفانا أبو حيان الرد عليه، وحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المتفق عليه، ليس فيه ما يجعل هذه الآية متعينة لقسم، فقوله –صلى اللّهُ عليه وسلم– "إلا تحلة القسم" هو تعبير استعملته العربية في أساليبها، وقد ذكر ذلك ابن الأثير فيما نقله عنه ابن منظور بقوله[3]:"هذا مثل في القليل المفرط القلّة، وهو أن يباشر من الفعل الذي يقسم عليه المقدار الذي يُبرّ به قسمه ويحلّله، مثل أن يحلف على النزول بمكان، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته، فتلك تحلة قسمه، والمعنى لاتمسه النار إلا مسّة يسيرة مثل تحلة قسم الحالف".

وهذا ما يقرره أيضا الأمين الشنقيطي بقوله[4]: "وحديث أبي هريرة المذكور المتفق عليه لايتعين منه أن في الآية قسما؛ لأن من أساليب اللغة العربية التعبير

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ١١/٩١.

[2] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ١٦٨.

[3] لسان العرب، مادة (حلل).

[4] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/٣٨٢-٣٨٣، وانظر أيضا ما ذكره الطاهر بن عاشور حول هذا الحديث تفسير التحرير والتنوير ١٦/١٥٢.

بتحلة القسم عن القلة الشديدة، وان لم يكن هناك قسم أصلا، يقولون: ما فعلت كذا إلاّ تحلّة القسم، يعنون إلا فعلاً قليلاً جدا، قدر مايحلّل به الحالف قسمه، وهذا أسلوب معروف في كلام العرب".

ومن هذا النوع أيضا ما ذهب إليه بعض العلماء من أن الحروف المقطعة في أوائل السور هي أقسام أقسم الله بها، فقد ذكر هذا القول ابن عباس وعكرمة (رضي الله عنهما) فيما نقله الطبري[1] عنهما، ونقل الرازي[2] قول الأخفش: "إن الله تعالى أقسم بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها، ولأنها مباني كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة، ومباني أسماء اللّه الحسنى وصفاته العليا، وأصول كلام الاسم، بها يتعارفون، ويذكرون اللّه ويوحدونه... فكأنه تعالى قال: "أقسم بهذه الحروف إن هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ".

ونقل القرطبي عن الكلبي قوله[3]: "هي أقسام أقسم اللّهُ تعالى بها لشرفها وفضلها، وهي من أسمائه".

وقال ابن القيّم[4]: "فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته وكمال إحسانه وإنعامه، فهي أولى أن يقسم بها من الليل والنهار".

وذكر ابن الأنباري في إعراب (ص) أن[5]: "من قرأ بالفتح[6] جعله اسما للسورة كأنه قال: اقرأ صاد، ولم يصرفه للتعريف والتأنيث، وقيل هو في موضع نصب، بتقدير حذف حرف القسم، كقولك: اللّهَ لأفعلنّ، ومن قرأ بالكسر[7] بغير تنوين، ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون أمرا من المصاداة، وهي المقابلة ومعناه، صاد القرآنَ بعملك، أي: قابله.

---

[1] انظر: جامع البيان ١/٦٧.

[2] التفسير الكبير ١/٢٥٤.

[3] الجامع لأحكام القرآن ١/١١٠.

[4] التبيان في أقسام القرآن ١٨٦.

[5] البيان ٢/٣١١.

[6] قرأ بها عيسى وعيسى عن أبي عمرو. انظر: البحر ٧/٣٦٦.

[7] قرأ بها أبيّ والحسن وابن أبي اسحق وأبو السّمال ونصر بن عاصم. انظر: البحر ٧/٣٦٦.

والثاني: أن يكون أعمل حرف القسم مع الحذف، كقولهم: اللّه لأفعلنّ، وأعمل الحرف مع الحذف، لكثرة حذفه في القسم، وفيه ضعف " .

وقال ابن هشام[1]:"ومن ذلك قول كثير من المفسّرين والمعربين في فواتح السور أنه يجوز كونها في موضع جرٍّ بإسقاط حرف القسم".

وقد ذهب إلى هذا الرأي من الباحثين المحدثين كاظم الراوي[2]، حيث رجح أنها أقسام، مستندا في ذلك إلى الأقوال التي ذكرناها سابقا.

ويرى الباحث – والله أعلم – أن هذه الحروف المقطعة ليست أقساما أقسم بها المولى – عز وجل – ، وأن قول القائلين بذلك يمكن الاعتراض عليه بما يلي:

أولا: إن مانسب إلى ابن عباس – رضي اللّهُ عنه – أمر يحتاج إلى مزيد من البحث والتثبت فيه، لأنه قد اضطربت الروايات عن ابن عباس – رضي اللّهُ عنه – في تأويل هذه الأحرف، فقد روي عنه ثلاثة أقوال، هذا أولها، وثانيها: أنها اسم اللّه الأعظم، وثالثها: أن (الم) تدل على (أنا الله أعلم)، و(الّر) تدل على (أنا الله أرى)، و(المّص) تدل على (أنا الله أُفصّل).

وهذه الروايات الثلاث عن ابن عباس، قد تناقلتها جلّ كتب التفاسير[3] بما فيها تفسير الطبري شيخ المفسرين. ومع ذلك لابد من التريث في صحة نسبة هذا القول إلى ابن عباس – رضي الله عنه –، ولابد من التساؤل أيضا أيُّ هذه الأقوال يصح نسبتها إليه؟

ثانيا: إن للقسم أدواتٍ معينةً تذكر قبل المقسم به، ولاتوجد هذه الأدوات قبل هذه الفواتح، وهذا ما يذكره رمضان عبد التواب – وهو أحد العلماء المحدثين– بقوله[4]: "ان القسم له أدوات معينة مثل الواو والباء وغيرهما، ولا توجد إحدى هذه الأدوات في الموارد المذكورة فلم يقل القرآن مثلا: والم ذلك الكتاب، حتى تكون قسما...".

---

[1] المغني ٢/٣٠٧.

[2] انظر: أساليب القسم في اللغة العربية ٤١٣.

[3] انظر: جامع البيان ١/٦٧، والتفسير الكبير ١/٢٥٣، والمحرر الوجيز ١/١٣٨-١٣٩، والبحر المحيط ١/١٥٦-١٥٧، وتفسير القرآن العظيم ١/٣٩.

[4] الحروف المقطعة في القرآن الكريم، عبد الخيار شرارة ص٤١، نقلا عن مقال "حول فواتح السور" د. رمضان عبد التواب ١٧٤، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، العدد ٨، ١٩٦٣م، حيث لم أعثر على المصدر الأصلي.

وكذلك لايمكننا تقدير قسم هنا، لأن ذلك يحتاج إلى قرينة ظاهرة يقتضيها السياق، والحكم بغير قرينة ظاهرة أمر يرفضه العلماء، يقول الأمين الشنقيطي[1]:"والحكم بتقدير قسم في كتاب الله دون قرينة ظاهرة، فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه".

ثالثا: إن ما ذكره ابن هشام أنه يجوز كونها في موضع جرّ بإسقاط حرف الجر، وقد ضعفه ابن الأنباري في قوله الانف الذكر، وضعفه السمين الحلبي أيضا فقال[2]:"وهذا ضعيف لأن ذلك من خصائص الجلالة المعظمة لا يشركها فيه غيرها".

رابعا: إنه يمتنع أنْ تكون أقساما ، وذلك خشية اجتماع قسمين على جواب واحد، وهو ما يمنعه النحاة[3]، وذلك في نحو : قوله تعالى: ؛ **حم، والكتاب المبين، إنّا جعلناهُ قُرآنا عربيا لعلّكم تعقلون** ؛ (الزخرف ١-٣).

وقوله تعالى: ؛ **صّ، والقُرآن ذي الذكر، بل الذين كفروا في عزّة وشِقاق** ؛ (ص ١-٢).

وقوله تعالى: ؛ **نّ، والقلمِ ومايسطُرُون، ما أنت بنعمة ربّكَ بمجنُون** ؛ (القلم ١-٢).

وقد أشار إلى هذا الأمر الزمخشري فقال[4]: "فإن قلت: هَلا زعمتَ أنّها مُقْسَمٌ بها، وأنّها نُصبتْ نصب قولهم: نعمَ اللّهَ لأفْعلَنّ، وأيَ اللّهَ لأفعلَنّ، على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم، ... قلت: إنّ القرآن والقلم (قصد بذلك الزمخشري قوله تعالى: ؛**ص والقرآنِ**؛، وقوله تعالى: ؛**ن والقلمِ**؛)بعد هذه الفواتح محلوف بهما، فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد، وقد إستكرهوا ذلك" ثم نقل قولا للخليل وسيبويه[5] في كراهية ذلك.

---

[1] أضواء البيان ٣٨٢/٤.

[2] الدر المصون ٨١/١.

[3] انظر: الكتاب ٥٠١/٣-٥٠٢، والمقتصب ٣٣٦/٢-٣٣٧، وشرح الجمل لابن عصفور ٥٣٠/١-٥٣١.

[4] الكشاف ٨٦/١-٨٧.

[5] انظر قول الخليل هذا في: الكتاب ٥٠١/٣-٥٠٢.

خامسا: إنّ القسم له جواب ويُتلقّى بحروف معيّنة، من هذه الحروف: إن وقد ولقد وما، ولاتوجد هذه الحروف هنا، فأين نجد جواب القسم – على افتراضه؟ مثلا في قوله تعالى: ؛ حٰمٓ، تَنْزِيلُ الكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ ؛ (غافر ١-٢).

وقوله تعالى ؛ حٰمٓ ، تَنزِيلٌ مِن الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ؛ (فُصِّلَت ١-٢)

وقوله تعالى ؛ كٓهيعٓصٓ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ؛ (مريم ١-٢)

وهل يستقيم السياق لو قلنا: واللّه تنزيل من الرّحمن الرّحيم، أو واللّه ذكرُ رحمة ربّك عبده زكريا" أعتقد أن ذلك لو قيل فهو تأويل في غير محله يأباه سياق النص القرآني ولايستقيم معه.

وهذا ماذكره بعض العلماء ونقله القرطبي عنهم فقال[1]: "ورد بعض العلماء هذا القول فقال: لايصح أن يكون قسما، لأن القسم معقود على حروف مثل: إن وقد ولقد وما، ولم يوجد ها هنا حرف من هذه الحروف، فلا يجوز أن يكون يمينا ".

وبعد هذا العرض يتضح للباحث أن هذه الأحرف ليست أقساما أقسم بها الله عزّ وجل، والذي يبدو للباحث رجحانه من الأقوال التي قيلت في هذه الأحرف، التي تزيد على عشرين قولا[2]: "ونراه أقرب ما يكون إلى طبيعة الكتاب العربي المبين في إعجاز بيانه[3]، هو الرأي القائل[4]:"إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرتفيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطّعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره[5] عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي[6] عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقدره الزمخشري[7] في كشافه ونصره أتم نصر".

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ١/١١٠.

[2] انظر هذه الأقوال في: التفسير الكبير للرازي ١/٢٥٢-٢٥٥، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنيسابوري ١/١٢٩-١٣٣.

[3] الإعجاز البياني ١٥٧.

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/٤٠.

[5] انظر: التفسير الكبير ١/٢٥٣.

[6] انظر: الجامع لأحكام القرآن ١-١٠٩.

[7] انظر: الكشاف ١/٩٥-٩٨.

وقد ذهب إلى هذا القول من العلماء المحدثين - محمد الأميـــن الشـــنقيطي[1] وسيد قطب[2] وبنت الشاطىء[3].

ويهتدي ابن كثير إلى ملحظ بيانيٍّ لطيف يدلّل به على أن هذه الأحرف جاءت بيانا لإعجاز القرآن الكريم، فيقول[4]: " قلت: ولهذا، كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاســـتقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة".

وما ذكره ابن كثير هو ما نلحظه بيّنا في تسع وعشـــرين ســـورة، افتتحـــت بالحروف المقطعة التي بلغت أربعة عشر حرفا، يجمعها قولك: "نصٌّ حكيمٌ قَاطِعٌ لَهُ سرٌّ".

ويمكننا تفصيلها[5] على النحو التالي:

أ- **ما افتتح بحرف واحد:**

وذلك قوله تعالى: ﴿ صٓ والقُرْآن ذي الذّكر بَلِ الّذينَ كَفَرُوا فى عزّة وَشقَاق﴾ (ص ١-٢).

وقوله تعالى:﴿ ق والقُرآنِ المجيد، بَلْ عَجبُوا أنْ جَاءَهُم مُنْذرٌ منْهُـــم فَقَـــالَ الكافرُونَ هذا شَيءٌ عَجيبٌ ﴾ (ق ١-٢).

وقوله تعالى: ﴿ نٓ والقلم وَمَا يسْطُرُون، مَا أنْت بنعْمَـــة ربّـــكَ بمَجْنُـــون ﴾ (القلم ١-٢).

ب- **ما افتتح بحرفين:**

وذلك قوله تعالى: ﴿ حٰمٓ، تَـــنزيلُ الكتَـــاب مـــنَ اللّـــه العزيـــز العَليـــم ﴾ (غافر ١-٢).

---

[1] انظر: أضواء البيان ٣/٥.

[2] انظر: في ظلال القرآن. ١/٣٨ .

[3] انظر: الإعجاز البياني ١٥٧.

[4] تفسير القرآن العظيم ١/٤١.

[5] هذا التفصيل والترتيب لمواقع السور ذكره الزركشي في البرهان. ١/٢١٤.

وقوله تعالى: ﴿ حم، تنزيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيم ﴾ (فُصِّلت ١-٢).

وقوله تعالى: ﴿ حم، والكتابِ المبينِ، إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرآناً عربيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون ﴾ (الزخرف ١-٣).

وقوله تعالى: ﴿ حم، والكِتَابِ المبينَ، إنَّا أنزلنَاهُ فِي ليلةٍ مباركة إنَّا كنا منذرين ﴾ (الدخان ١-٣).

وقوله تعالى: ﴿ حم، تنزيلُ الكِتَاب مِنَ اللّه العزيزِ الحكيم ﴾ (الجاثية ١-٢).

وقوله تعالى: ﴿ حم، تنزيلُ الكِتَاب مِن اللّه العزيزِ الحكِيمِ ﴾ (الأحقاف ١-٢).

وقول الله تعالى: ﴿ طَس تِلك آياتُ القُرآنِ وكتابٍ مبين ﴾ (النمل ١).

وقوله تعالى: ﴿ طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ (طه ١-٢).

وقوله تعالى: ﴿ يس، والقرآنِ الحكيم ﴾ (يس ١-٢).

جـ- منها ما افتتح بثلاثة حروف:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ الم، ذَلِكَ الكِتَابُ لاريبَ فيهِ هُدًى للمتقين ﴾ (البقرة ١-٢).

وقوله تعالى: ﴿ الم، اللّهُ لا إله الا هو الحيُّ القيُّومُ، نزَّلَ عليك الكتاب بالحق ﴾ (آل عمران ١-٣).

وقوله تعالى: ﴿ الم، أحسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ﴾ (العنكبوت ١-٢).

وقوله: ﴿ الم، غُلِبَتِ الرُّوم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سَيَغْلِبون ﴾ (الروم ١-٣).

وقوله: ﴿ الم، تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ (لقمان ١-٢).

وقوله: ﴿ الم، تنزيلُ الكِتابَ لا ريبَ فيه من ربِّ العالمين ﴾ (السجدة ١-٢).

وقوله تعالى: ﴿ الر ، تلك آياتُ الكتابِ الحكيم ﴾ (يونس ١).

وقوله: ﴿ الر ، كتابٌ أُحْكِمَتْ آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ (هود ١).

وقوله: ﴿ الر، تلك آياتُ الكتاب المبين، إنَّا أنزلنَاهُ قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون ﴾ (يوسف ١-٢).

وقوله: ؛ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بـــإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ؛ (إبراهيم ١).

وقوله تعالى: ؛ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ؛ (الحجر ١).

وقوله: ؛ طسّمّ، تلك آيات الكتاب المبين ؛ (الشعراء ١-٢).

وقوله: ؛ طسّمّ، تلك آيات الكتاب المبين ؛ (القصص ١-٢).

د- ومنها ما افتتح بأربعة أحرف:

وذلك قوله تعالى: ؛ المّصّ، كتابٌ أُنزِلَ إليك فلا يكُنْ في صدرك حرج منـــه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ؛ (الاعراف ١-٢).

وقوله تعالى: ؛ المّرّ ، تلك آيات الكتاب والذي أُنزل إليك من ربـــك الحـق ولكن أكثر الناس لايؤمنون ؛ (الرعد ١).

هـ - ومنها ما افتتح بخمسة حروف:

وذلك قوله تعالى: ؛ كهيعّصّ، ذكرُ رحمتِ ربّك عبدَهُ زكريا ؛ (مريم ١-٢).

وقوله تعالى: ؛ حّمّ، عسق، كذلك يوحي إليك وإلى الذين مـــن قبلـك اللـه العزيز الحكيم ؛ (الشورى ١-٣).

فنلحظ مما سبق من الآيات أن القرآن قد ذكر بعد الفواتح عدا أربـــع ســور هي[1]:مريم والعنكبوت والروم والقلم وهذه السور وإن كان لم يأت ذكر القرآن بعـد فواتحهن مباشرة إلا أنه قد أتى ذكره في ثناياهن[2]، ففي سورة مريـــم، ورد قولـه تعالى- لنبيه صلى الله عليه وسلم-: "واذكر في الكتاب.." خمس مرات، من ذلـــك "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا" (مريم ١٦). وقوله: "واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا" (٤١) إلى آخر ذلك من المواضع الأخـــرى، وتختم السورة بقوله تعالى: ؛ فإنما يسرناه بلسانك لتبشّرَ به المتقين وتنذر به قوما

---

[1] لقد علّل الرازي ذلك تعليلا صُرف النظر عن ذكره لوضوح التكلف فيه، انظر: التفسير الكبير ٢٤/٩، وقـــد تنبـه إلى ذلـك الزركشي أيضا ولكنه لم يُحر جوابا على ذلك، انظر: البرهان ٢١٩/١، وأشار إلى ذلك ابن القيم أيضا، ولكنه لم يُحر جواباً على ذلك هو الآخر، انظر: التبيان في أقسام القرآن ١٨٦.

[2] وهو ما أشارت إليه بنت الشاطئ في الإعجاز البياني ص١٥٩ وما بعدها.

لداً، وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؛ (مريم ٩٧-٩٨).

وفي سورة العنكبوت يرد ذكر القرآن الكريم في مواضع عديدة، حيث يتوالى ذكر الكتاب من آية ٤٤ الى آية ٥١، من ذلك قوله تعالى: ؛ **وكذلك أنزلنا إليك الكتاب، فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به، ومن هؤلاء من يؤمن به، وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون** ؛ (العنكبوت ٤٧).

وفي سورة الروم يرد ذكر القرآن الكريم في ختام السورة في قوله تعالى: ؛ **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون** ؛ (الروم ٥٨).

وفي سورة "القلم" يرد ذكر القرآن في ختام السورة أيضا في قوله تعالى: ؛ **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون، وماهو إلا ذكر للعالمين** ؛ (القلم ٥١-٥٢).

ويلحظ الباحث أن هذه الحروف المقطّعة افتتحت بها ست وعشرون سورة مكية، وثلاث من السور المدنية فقط وهي: البقرة وآل عمران والرعد، وذلك يشير إلى أن "أكثر السور المبدوءة بالفواتح نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى، وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والشعر والكهانة، فواجههم القرآن بالتحدي"[1].

ويؤكد هذا التحدي غلبة مجيء هذه الأحرف في السور المكية؛ لأن التحدي في مكة كان منصبا على الجانب البياني.

وأما مجيء ثلاث سور مدنية فقط مفتتحة بهذه الحروف المقطعة، فهو إشارة أيضا إلى استمرار التحدي البياني، غير أن طبيعة المرحلة قد تغيرت إذ أصبح للمسلمين شوكة وللإسلام ظهور، فأصبحت طبيعة التحدي تختلف باختلاف المرحلة، مما جعل لمجيء ثلاث سور مفتتحات بهذه الحروف كافيا للإشارة إلى وجه من وجوه التحدي في المرحلة المدنية، لاسيما أنه قد جاءت الآيات في هذه المرحلة معلنة عجزهم عن مواجهة التحدي والاستمرار فيه حيث ، قال المولى عز وجل في

---

[1] الإعجاز البياني، د. بنت الشاطئ، ١٨٠.

سورة البقرة وهي أول سورة نزلت بالمدينة: ؛ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين** ؛ (البقرة ٢٣-٢٤).

المبحث الثالث: المحذوفات في جملة القسم

ذكرنا في موضع سابق من هذا البحث[1] أن أركان جملة القسم الفعلية تتكون من الفعل + الأداة + المقسم به. وبناء على ذلك، فإن الحذف في هذه الجملة قد يطرأ على كل ركن من أركانها، فقد يحذف الفعل، وقد يحذف المقسم به والأداة، وقد تحذف الأداة، وقد تحذف جملة القسم برمتها، أي: الفعل والأداة والمقسم به.

ويمكننا تفصيل ذلك فيما يلي:

١- حذف فعل القسم:

ذكر النحاة[2] أن فعل القسم يحذف جوازا إذا كان حرف القسم المستعمل هو "الباء"، فإن كان حرف القسم غير الباء، فالحذف يكون وجوبا، قال ابن عصفور[3]:"ولمّا

كان ماعدا الباء من حروف القسم ليس مستعملا بحق الأصالة في باب القسم ، لم يظهروا معه فعل القسم وأظهروه مع الباء فقالوا: أُقسم بالله، وأحْلِفُ بالله".

وقد علل ابن يعيش سبب الحذف بقوله[4]: "ولمّا كان القسم مما يكثر استعماله، ويتكرر دوره بالغوا في تخفيفه من غير جهة واحدة " ، فمن ذلك أنهم قد حذفوا فعل القسم كثيرا للعلم به والاستغناء عنه، فقالوا: باللّه لأقومنّ، والمراد أحلف باللّه".

---

[1] انظر: الفصل الأول، المبحث الأول.

[2] انظر: شرح المفصل ٩/٩٤، وشرح الجمل لابن عصفور ١/٥٢٦، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ١٥٠، وارتشاف الضرب ٢/٤٧٧، والجنى الداني ٤٥، والهمع ٤/٢٣٢، ٢٣٦.

[3] شرح الجمل ١/٥٢٦.

[4] شرح المفصل ٩/٩٤.

وقد حذف فعل القسم وجوبا في الذكر الحكيم في خمسة وأربعين موضعا، من ذلك قوله تعالى: ؛ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم أَجْمَعِينَ ؛ (الحجر ٩٢).

وقوله تعالى: ؛ والعصر ، إنّ الإنسان لفي خُسر ؛ (العصر ١-٢).

وقوله تعالى: ؛ تالله لقد آثرك الله علينا ؛ (يوسف ٩١).

وقد حذف جوازا في موضعين مع غير لفظ الجلالة وذلك في قوله تعالى: ؛ وقالوا بِعِزَّةِ فِرعونَ إنا لنحنُ الغالبون ؛ (الشعراء ٤٤).

وقوله تعالى: ؛ فبعزّتك لأُغوينّهم أجمعين ؛ (ص:٨٢).

وقد أشار الزركشي إلى ندرة مجيء الباء والفعل محذوف، بقوله[1]:"أكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن، لا تكون الا بالواو، فإذا ذُكرت الباء أتي بالفعل، ... ولا تجيء الباء والفعل محذوفا إلا قليلا ".

وما ذكرناه هنا، هو ما كان القسم فيه صريحا متّفقاً عليه، أمّا ما اختلف فيه فقد أوضحناه في محله[2] من البحث فلا نعيد ذكره هنا.

ونضيف إليه هنا ما أشار إليه الزركشي بقوله[3]: "ولا تجيء الباء والفعل محذوف الا قليلا، وعليه حمل بعضهم قوله: ؛ يابنى لا تشرك بالله ؛ (لقمان ١٣).

وقال: الباء باء قسم، وليست متعلقة بـ "تشرك"، وكأنه يقول: "يابني لا تشرك: ثم ابتدأ فقال : " باللّه " لا تشرك ، وحذف " لاتشرك " لدلالة الكلام عليه".

وما ذكره الزركشي هنا هو ما أشار إليه ابن يعيش أيضا فقال[4]:"قال اللّهُ تعالى:"بالله إن الشرك لظلم عظيم"، في أحد الوجهين هو القسم، وفي الوجه الآخر يتعلق بقوله: "لا تشرك" ".

---

١ البرهان ٣/٤٨.

٢ انظر ص٨ من هذه الرسالة.

٣ البرهان ٣/٤٨.

٤ شرح المفصل ٩/٩٤.

٢- حذف المقسم به وأداة القسم.

قد يحذف المقسم به والأداة ويكتفى بذكر فعل القسم، قال ابن يعيش[١]:"وربما حذفوا المقسم به واجتزءوا بدلالة الفعل عليه،.. وإنما حذفت لكثرة الاستعمال وعلم المخاطب بالمراد" واستشهد لذلك بقول الشاعر[٢]:

فَأُقْسِمُ أَنْ لَوْ التَقَيْنا وَأَنْتُمْ لَكَانَ لَكُمْ يومٌ من الشَرِّ مُظْلِمُ

وقد حذف المقسم به والأداة في الذكر الحكيم في عشرة مواضع، من ذلك قوله تعالى: ؛ **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ؛ (الأعراف ٢١).

وقوله تعالى: ؛ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة** ؛ (الروم ٥٥).

وقوله تعالى: ؛ **ويحلفون على الكذب وهم يعلمون** ؛ (المجادلة ١٤).

٣- حذف أداة القسم:

أجاز النحاة[٣] حذف حرف القسم في أسلوب القسم، وينتصب في هذه الحالة المقسم به أو يجر على وجهين من وجوه الإعراب، يقول سيبويه[٤]: "واعلم أنك إذا حذفت من المحلوف به حرف الجر نصبته، كما تَنصِبُ حقّا إذا قلت: إنك ذاهبٌ حقا"[٥]

وقال في موضع آخر[٥]:"ومن العرب من يقول، اللّهِ لأفعلنّ، وذلك أنه أراد حرف الجر، وإيّاه نوى، فجاز حيث كثر في كلامهم وحذفوه تخفيفا وهم ينوونه".

وقد جعلوا النصب بفعل القسم المحذوف لاعتقادهم أن هذا الفعل يتعدى إلى المفعول به بواسطة حرف الجر، فإذا حذفت هذه الواسطة وصل بنفسه فنصب

---

١ شرح المفصل ٩/٩٤.

٢ البيت للمسيّب بن علس في حماسة الأعلم ٤/١٤٥.

٣ انظر: الكتاب ٣/٤٩٧-٤٩٨، والمنصف ٢/٣٢١، والمفصل ٤٨٦، وشرح المفصل ٩/١٠٣-١٠٥، وشرح الكافية ٢/٣٣٥، واللمع ١٨٥، والجمل ٧٢، والجامع ٤/٢٣٢.

٤ الكتاب ٣/٤٩٧.

٥ الكتاب ٣/٤٩٨.

المقسم به، وهذا مايقرره ابن يعيش بقوله[1]: "والقياس يقتضي حذف الحرف أولا، فأفضي الفعل إلى الاسم فنصبه، ثم حذف الفعل توسعا لكثرة دور الأقسام".

ومن أمثلة ذلك ما قاله الشاعر[2]:

ألا ربَّ من قلبي لهُ اللهَ ناصح ومن قلبه لي في الظباء السوانح

وقد خصوا لفظ الجلالة "اللّه" وحده بالجر مع حذف حرف الجر، يقول الاستراباذي[3]:"ويختص لفظة "اللّه" بجواز الجر مع حذف الجار بلا عوض، والكوفيون يجوزون الجر في كل ماحذف منه الجار من المقسم به وإن كان بلا عوض، نحو: الكعبة لأفعلنّ، والمصحف لأثبنّ".

وقد ورد هذا النوع من الحذف في الذكر الحكيم، في تخريج بعض الوجوه الإعرابية لبعض القراءات القرآنية، من ذلك قوله تعالى: ؛ **ولا نكتُمُ شهادةَ الله إنّا إذاً لمن الآثِمين** ؛ (المائدة ١٠٦).

قال العكبري[4]: "ويقرأ "شهادة" بالتنوين، وألله بقطع الهمزة من غير مد، وبكسر الهاء على أنه جرّه بحرف القسم محذوفا، ... ويقرأ بتنوين الشهادة ووصل الهمزة ونصب اسم الله، - "شهادة الله" - من غير مد على أنه منصوب بفعل القسم محذوفا ".

وقال أبو حيان الأندلسي[5]:"وقرأ: "عليّ" و "نعيم بن ميسرة" و"الشعبي" بخلاف عنه "شهادة الله"، بنصبها وتنوين شهادة، وانتصاب (نكتم)، التقدير: "ولا نكتمُ اللّه شهادة "، قال الزهراوي: "ويحتمل أن يكون المعنى ولا نكتمُ شهادةً واللّه، ثم حذف الواو ونصب الفعل إيجازا ".

وقوله تعالى: ؛ **قال فالحقُّ والحقَ أقولُ لأملأنّ جهنّم منك وممن تَبِعَكَ منهم أجمعين** ؛ (ص ٨٤-٨٥).

---

[1] شرح المفصل ٩/١٠٣.

[2] البيت لذي الرّمّة في ملحق ديوانه ٣/١٨٦١.

[3] شرح الكافية ٢/٣٣٥.

[4] إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ١/٢٣٠.

[5] البحر ٤/٤٨.

قال أبو حيان الأندلسي[1]: "وقرأ الجمهور[2]: "فالحق والحق بنصبهما، أما الأول فقسم به، حذف منه الحرف كقوله: أمانةَ اللّهِ لأقومنّ. والمقسم عليه "لأملأنّ"، و"الحقّ أقول" اعتراض بين القسم وجوابه، ... وقرأ الحسن، وعيسى، وعبد الرحمن ابن حمّاد، عن أبي بكر بجرّهم، ويُخرّج على أنّ الأول مجرورٌ بواو القسم محذوفة. تقديره: فوالحقّ، و"الحقّ" معطوف عليه، كما تقول: والله والله لأقومنّ، و"أقول" اعتراض بين القسم وجوابه".

وقال العكبري[3]: "قوله تعالى: ؛ فالحقّ ؛ في نصبه وجهان: أحدهما مفعول به لفعل محذوف، أي فأحق الحق، أو فأذكر الحق، والثاني: على تقدير حذف القسم: أي فبالحقّ لأملأن".

ويرى الباحث- والله أعلم- أن الوجه الثاني وهو القسم أولى؛ لأن سياق المقام يقتضي ذلك إذ جاءت هذه الآية ردّا على قول إبليس- لعنه الله- حين أقسم بقوله: ؛ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ؛ (ص ٨٢)، فجاء القسم من المولى عز وجل ردّا على ذلك؛ لأن المقام يستدعي التوكيد بشدة.

وهناك دليل آخر يؤكد ذلك وهو سياق النص أيضا، إذ جاء الجواب للقسم ؛ **لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** ؛ (ص ٨٥).

وقوله تعالى: ؛ **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا** ؛ (المزّمّل ٩).

قال الزمخشري[4]: "قرئ مرفوعا على المدح ، ومجرورا على البدل من ربّك، وعن ابن عباس على القسم بإضمار حروف القسم كقولك: اللّه لأفعلنّ، وجوابه "لا إله إلاّ هو" كما تقول: واللّه لا أحد في الدّار إلا زيدٌ وتعقّب أبو حيان الزمخشري بقوله[5]: "ولعلّ هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس، إذ فيه إضمار الجار في القسم،

---

١ البحر ٣٩٢/٧-٣٩٣.

٢ قراءة الرفع قرأ بها عاصم وحمزة، وقرأ الباقون بالنصب، انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع مكي بن طالب القيسي ٢٣٤/٢.

٣ إملاء ما منّ به الرحمن ٢١٣/٢.

٤ الكشاف ١٧٧/٤.

٥ البحر ٣٥٦/٨.

ولا يجوز عند البصريين إلاّ في لفظة "الله"، ولا يقاس عليه". ويبدو أن أبا حيان قد ناقض نفسه بنفسه هنا، إذ إنه قد خرّج هذا التخريج نفسه للآية الأنفة الذكر وهي قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَالحَقُّ والحَقَّ أَقُول ﴾ (ص ٨٤)، في حين اعترض على الزمخشري هذا التخريج.

٤-حذف جملة القسم:

قد تحذف جملة القسم المكونة من الفعل والأداة والمقسم به كاملة، ويسمى القسم في هذه الحالة بالقسم المضمر (غير الصريح). قال ابن هشام[1]: "وحيث قيل: "لأفعلنّ"، أو "لقد فعل"، أو "لئن فعل"، ولم يتقدم جملة قسم، فثم جملة قسم مقدرة".

وقد فصّلنا ذكره فيما سبق[2]، ونعيد هنا القول؛ أن هذا النوع من الحذف يوجد بكثرة جدا في الذكر الحكيم، فقد حذفت جملة القسم في الذكر الحكيم في أربعمئة وعشرين موضعا من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (ال عمران ١٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٤٩).

وقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (المائدة ٨٢).

وفي جملة القسم الاسمية قد يحذف الخبر أو المبتدأ في بعض الحالات، فيحذف المبتدأ وجوبا من جملة القسم في مثل قولهم: "في ذمتي لأنصفنّ المظلوم"، فـ"في ذمتي" خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير "في ذمتي يمين"، وذلك إذا كان الخبر فيه صريحا في القسم.

ويحذف الخبر وجوبا من جملة القسم أيضا، إذا كان الاسم المبتدأ متعيّنا للقسم.

---

[1] المغني ٢/٣٨٧.

[2] انظر: ص٣٢ من هذا البحث.

قال ابن مالك[1]: "فإن ابتدىء في الجملة الاسمية بمتعيّن للقسم حذف الخبر وجوبا، وإلا فجوازا".

من ذلك "لعمرك" "فعمرك مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، والتقدير: لعمرك ما أحلف به"[2].

وقد ورد ذلك في موضع واحد في الذكر الحكيم، في قوله تعالى: ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ (الحجر ٧٢). وقد سبق الحديث عنها بالتفصيل في هذا البحث[3].

---

١ تسهيل الفوائد ١٥١.

٢ اللمع ١٨٧.

٣ انظر: ص ٣٤ من هذا البحث.

الفصل الثاني

جملة جواب القسم

يُعرِّف ابن عصفور جملة الجواب بقوله[1]: "هو كل جملة حُلف عليها بإيجاب أو نفي، نحو: والله ما قام زيدٌ، ووالله ليقومنّ زيدٌ".

وقد ذكرت سابقا[2] أن جملتي القسم والجواب مرتبطتان معا ارتباط الشرط والجزاء.

وذكر ابن يعيش أن جملة القسم لا تجيء مفردة دون مجيء جملة الجواب معها، فقال[3]: "ولو قلت: أقسم بالله وسكتّ لم يجز، لأنك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط، وإنما أردت أن تخبر بأمر آخر، وهو قولك: لأفعلنّ، وأكّدْتَهُ بقولك: أحلف بالله".

وجملة جواب القسم إما أن تكون خبرية، ويسمى القسم في هذه الحالة قسما "خبريا" أو "غير استعطافي"، وهو الكثير الشائع في أساليب القسم، وإما أن يكون الجواب جملة إنشائية مكونة من أمر أو نهي أو استفهام، ويسمى القسم في هذه الحالة "قسما استعطافيا"[4]، وهو قليل نادر، وتختص به الباء من بين حروف القسم، وغايته تحريك النفس، وإثارة شعورها".

ومن أمثلته في الشعر قول العرجي[5]:

بالله يا ظَبيات القاع قُلنَ لنا ... لَيْلايَ منكُنّ؟ أم ليلى منَ البشَرِ؟

وقوله أيضا[6]:

وبالله رُدّي دمْع عينيَ فيهما ... إلى أي دهْر دمْعُ عينيَ يهْمِلُ

---

1 شرح الجمل ١/ ٥٢٣.

2 انظر ص من الفصل الأول لهذه الرسالة.

3 شرح المفصل ٩/ ٩٠.

4 يرى بعض النحاة أن هذا النوع ليس قسما، انظر: شرح المفصل ٩/ ١٠١، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/ ٥٢١، وشرح الجمل لابن أبي الربيع ٢/ ٩١٣، وارتشاف الضرب لأبي حيان ٢/ ٤٩٦.

5 ديوان العرجي ٢٤١، وورد أيضا في ديوان المجنون ١٢٧.

6 ديوان العرجي ٢٤٠.

وقد ورد هذا القسم الاستعطافي في الذكر الحكيم في موضع واحد هو:

قوله تعالى: **﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ، وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾** (القيامة ١-٣).

إذ أقسم المولى عز وجل بيوم القيامة والنفس اللوامة، وجاءت جملة الجواب استفهاما إنكاريًا "أيحسب الإنسانُ ألّنْ نجْمَعَ عظامه"؟!

فكأنّ سياق هذا النص القرآني يخاطبهم قائلا لهم: هل يعْجِزُ من أوجد يوم القيامة، وخلقكم من العدم بداية، عن أنْ يُعيدكُم ويجمع عظامكُم بعد موتكُم مرة ثانية؟

فكانت غايةُ مجيء هذا الاستفهام بعد القسم في هذا السياق إثارةَ النفوس المتلقية لهذا القسم، وتحريك مشاعرها تجاه ربّها جلّ وعلا.

وتأتي جملة الجواب في القسم الإخباري في شكلين هما[1]:

١- جملة فعلية.

٢- جملة اسمية.

المبحث الأول: الجواب جملة فعلية:

وهذه الجملة تأتي في شكلين هما:

١- فعلية فعلها مضارع.

٢- فعلية فعلها ماض.

أولاً: الجواب جملة فعلية فعلها مضارع:

وهذه الجملة إما أن يكون فعلها مثبتا، وإمّا أن يكون منفيا.

أ- جملة الجواب مضارعا مثبتا:

وفي هذه الحالة يلزم المضارع دخول اللام ونون التوكيد، وذلك إذا كان الفعل دالاً على الاستقبال، ومتصلا باللام لم يفصل بينه وبينها بفاصل، نحو: واللهِ لأخْرُجَنّ، وقد ذكر ذلك سيبويه فقال[2]: "فإذا حلفتَ على فعل غير منفي لم يقع لزمته

---

١ أخذ الباحث هذا التقسيم من شرح الكافية للاستراباذي ٣٣٨/٢.

٢ الكتاب ١٠٤/٣.

اللام، ولزمت اللاّم النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة، وذلك قولك: "واللّه لأفعلنّ".

وقد ورد الفعل المضارع مقترنا باللام، ومؤكّدا بنون التوكيد في الذكر الحكيم في مئة وأربعة وسبعين موضعا، منها سبعة عشر موضعا جاءت جوابا لقسم صريح، وبقية المواطن جاءت جوابا لقسم مضمر.

فمما جاء جوابا لقسم صريح، قوله تعالى: ؛ **فوربّك لنسألنّهم أجمعين** ؛ (الحجر ٩٢). وقوله تعالى: ؛ **تالله لتسئلنّ عمّا كنتم تفترون** ؛ (النحل ٥٦).

ومما جاء جوابا لقسم مضمر قوله تعالى: ؛ **فلنولّينّك قبلة ترضاها** ؛ (البقرة ١٤٤).

وقوله تعالى: ؛ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ؛ (النحل ٩٧).

واتّصل الفعل المضارع بنون التوكيد الثقيلة في كل تلك المواضع، ولم يرد متّصلا بنون التوكيد الخفيفة إلاّ في موضعين فقط هما:

قوله تعالى: ؛ **ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننّ وليكونا من الصّاغرين** ؛ (يوسف ٣٢).

قال خالد الأزهري[1]: "وذكر الخليل أن التوكيد بالثقيلة أشد من التوكيد بالخفيفة، ويدلّ له "ليسجننّ وليكونا"، فإنّ امرأة العزيز كانت أشدّ حرصا على سجنه من كينونته صاغرا".

والموضع الثاني: قوله تعالى: ؛ **كلاّ لئن لم ينته لنسفعا بالنّاصية** ؛ (العلق ١٥)

فإن فُقد أحد تلك الشروط[2]، فإنّ الفعل المضارع لا يتصل بنون التوكيد، وذلك بأن يكون دالاً على الحال لا الاستقبال ، كقراءة[3] الحسن البصري وابن كثير قوله تعالى: ؛ **لأُقسمُ بيوم القيامة** ؛ (القيامة ١) بحذف الألف.

---

[1] شرح التصريح على التوضيح ٢٠٣/٢.

[2] أي كون المضارع مثبتا مستقبلا جوابا لقسم غير مفصول من لامه.

[3] انظر هذه القراءة في الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن طالب ٣٤٩/٢، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٤٢٨.

قال أبو الفتح[1]: "وينبغي أن تكون هذه اللام لام الابتداء، أي: لأنا أقسم بيوم القيامة، وحذف المبتدأ للعلم به".

وقال أبو حيان[2]: "وخرّج قراءة الحسن أبو الفتح على تقدير مبتدأ محذوف، وتبعه الزمخشري[3]، وإنما ذهبا إلى ذلك لأن في القسم على فعل الحال خلافا، وذهب ابن عصفور[4] إلى المنع، وبعض النحويين إلى الجواز، وهذا الذي أختاره".

ولا تتصل النون المؤكّدة بفعل الحال؛ لأن النون تُخلّصُ الفعل للاستقبال.

وكذلك لا يتصل الفعل المضارع الدّال على الاستقبال والواقع في جواب القسم بنون التوكيد إذا فُصِل بينه وبين اللام فاصلٌ، كأن تكون اللام دخلت على متعلق بالمضارع مقدّم، أو على حرف تنفيس، قال الاستراباذي[5]: "فإن كان الفعل مضارعا مثبتا، فالأكثر تصديره باللاّم وكسْعه بالنون، نحو: لأضربنّ، إلا أن تدخل اللاّم على متعلق للمضارع مقدم عليه: كقوله تعالى: ﴿ **ولَئِنْ مُتُّمْ أوْ قُتِلْتُمْ لإلى اللـه تُحْشَرُون** ﴾ (آل عمران ١٥٨)، فإن فيه اللاّم فقط، وكذا إن دخل على حرف التنفيس نحو: والله لسوف أخْرُجُ فلا يُؤتى بالنون اكتفاء بإحدى علامتي الاستقبال عن الأخرى".

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ويَقُولُ الإنْسانُ أءذا ما متُّ لَسَوْف أُخْرَجُ حيّا** ﴾ (مريم ٦٦).

وقوله تعالى: ﴿ **ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ ربُّكَ فتَرْضى** ﴾ (الضحى ٥).

ب- **جملة الجواب مضارعا منفيا:**

وفي هذه الحالة ينفى الفعل المضارع بـ (ما) و"لا" و"إنْ"، يقول الاستراباذي[6]: "وإن كان المضارع منفيا، فنفيه بـ "ما" و"إنْ"، و"لا".

---

[1] المنصف ٣/٢٤١.

[2] البحر ٨/٢١٢.

[3] انظر الكشاف ٤/١٩٠.

[4] انظر شرح الجمل ١/٥٢٧-٥٢٨.

[5] شرح الكافية ٢/٣٣٩.

[6] شرح الكافية ٢/٣٣٩.

فمثال نفيه بـ "ما" قول عمر بن أبي ربيعة[1]:

فوَالله ما أدْري وإنّي لحاسبٌ بسبْع رمَيْتُ الجمْرَ أم بثمانِ

و مثال نفيه بـ "لا" قول أبي خراش الهذلي[2]:

فوَالله لا أنسى قتيلا رُزئتُهُ بجانب قوسي ما بقيتُ على الأرض

وقد ورد الفعل المضارع في الذكر الحكيم منفيا بـ "لا" في جواب القسم في احد عشر موضعا، منها:

قوله تعالى: ؛ فلا وربّك لا يُؤمنون حتّى يُحكّمُوك فيما شجر بينَهم ؛ (النساء ٦٥).

وقوله تعالى: ؛ وأقسَموا بالله جَهْدَ أيمانهمْ لا يبْعثُ اللهُ منْ يمُوتُ ؛ (النحل ٣٨)

و ورد منفيا بـ "ما" في موضع واحد في الذكر الحكيم، هو قوله تعالى: ؛ والنّجْم إذا هوى، ما ضلّ صاحبُكم ومَا غوى، وما ينطقُ عن الهَوَى ؛ (النجم ١-٣)

إذ جاء الفعل المضارع "ينطق" واقعا في جواب القسم ومنفيّا بـ "ما"؛ وذلك أنه معطوف على جملة الجواب "والمعطوف على جملة الجواب جواب"[3].

وجاء في الذكر الحكيم موضع واحدٌ جاء فيه الفعل الماضي بمعنى المضارع عند بعضهم، مسبوقا بـ "إنْ" التي بمعنى "ما" النافية، وذلك قوله تعالى: ؛ ولَئنْ زَالتا إنْ أمْسكَهُما منْ أحَد منْ بَعْده ؛ (فاطر ٤١).

قال العُكْبري[4]: "إنْ أمْسكَهُما" أي: ما يُمْسكُهما، فـ "إنْ" بمعنى "ما"، وأمْسكَ بمعنى يُمْسك".

وذكر بعض النحاة[5] أنّ الفعل المضارع لا يجوز نفيه بـ "لن" في جواب

---

[1] الديوان ٣٩٩.

[2] الخزانة ٥/٤٠٦.

[3] شرح التصريح على التوضيح ٢/٢٠٤.

[4] إملاء ما منّ به الرحمن ٢/٢٠١.

[5] انظر ذلك في شرح الكافية ٢/٣٣٩، والبسيط في شرح الجمل ٢/٩٢٠.

القسم، قال الاستراباذي[1]: "ولا يجوز نفي المضارع بـ "لم" و"لن" في جواب القسم".

وأجاز ابن مالك ذلك فقال[2]: "وقد تُصدَّر بـ "لن" أو "لم"".

وقد وردت لغة التنزيل بذلك في قوله تعالى: ﴿ **قالوا لَنْ نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا من البيِّنات والَّذي فطرنا** ﴾ (طه ٧٢).

فقوله تعالى: ﴿ **والَّذي فطرنا** ﴾ قسم، وجوابه محذوف دلّ عليه ما تقدّم وهو قوله تعالى: ﴿ **لَنْ نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا من البيِّنات** ﴾.

ثانيا: الجواب جملة فعلية فعلها ماض:

وهذه الجملة إما أن يكون فعلها مثبتا، وإمّا أن يكون منفيّا.

أ- **جملة الجواب ماضيا مثبتا:**

وفي هذه الحالة، الأولى أن يقترن الفعل الماضي باللاّم و"قد"، قال الاستراباذي[3]: "وإن كان الفعل ماضيا مثبتا فالأولى الجمع بين اللام وقد، نحو: واللّه لقد خرج".

وقد ورد الفعل الماضي في جواب القسم مقترنا بـ "اللام" و" قد " في الذكر الحكيم في مواضع كثيرة، حيث جاء ذلك في مئة واثنين وثمانين موضعا، من ذلك ما وقع جوابا لقسم صريح وذلك في ثلاثة مواضع هي:

قوله تعالى: ﴿ **تاللّه لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنّا سارقين** ﴾ (يوسف ٧٣).

وقوله تعالى: ﴿ **تاللّه لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك** ﴾ (النحل ٦٣).

وقوله تعالى: ﴿ **تاللّه لقد آثرك اللّهُ علينا** ﴾ (يوسف ٩١). وبقية المواضع جاءت في جواب قسم مُضْمر، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **ولقد جئتمونا فُرادى كما خلقناكم أوّل مرّة** ﴾ (الأنعام ٩٤).

---

١ شرح الكافية ٣٣٩/٢.

٢ تسهيل الفوائد ١٥٢.

٣ شرح الكافية ٣٣٩/٢.

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة ٧٢).

واقتران الفعل الماضي في جواب القسم بـ "اللاّم" و"قد"، هو الأكثر الأغلب، إلاّ أنه قد يأتي الفعل الماضي مُتّصلا بـ "قد" فقط دون اللاّم، ومن ذلك قول زهير بن أبي سُلمى[1]:

تَاللهِ قَدْ عَلِمَتْ سَرَاةُ بَنِي ذُبْيَانَ عَامَ الحَبْسِ وَالأَصْرِ

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس ١-١٠)

وقد قدّر بعض النحاة "اللاّم في هذا الموضع، قال ابن جني[2]: "لام القسم تدخل على فعلين أحدهما الماضي، كقوله تعالى: ﴿ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا ﴾، وربّما حُذفتْ اللام، كقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ أي: لقد أفلح".

ويُرجع بعض النحاة سبب حذف اللام في الآية الآنفة الذكر، إلى الاستطالة حيث طال الفصل بين القسم وجوابه، ممّا حسّن ذلك حذف اللاّم في "لقد"، قال المبرّد[3]: "فأما قوله: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا.. ﴾ فإنما وقع القسم على قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾، وحذفت اللام لطول القصة؛ لأن الكلام إذا طال كان الحذف أجمل".

وهذا ما يراه ابن مالك أيضا حيث ذكر أن جملة القسم "تُصدّر في الإثبات بلام مفتوحة، أو "إنّ" مثقلة أو مُخفّفة، ولا يُستغنى عنها غالبا دون استطالة"[4].

ويرى الباحث أن تقدير اللام محذوفة في "لقد" في الآية الكريمة لا مُسوّغ له، وأما ما ذكره ابن مالك وبعض النحاة من أن الاستطالة بين القسم وجوابه سبب لحذف الرابط من الجواب، فهو قولٌ لا تُؤيّده شواهد التنزيل، فقد ورد كثيرٌ من الآيات التي طال الفصل فيها بين القسم وجوابه من غير أن يحذف فيها الرابط من

---

١ الديوان ٥٤.

٢ سرّ صناعة الإعراب ٣٩٢/١.

٣ المقتضب ٣٣٧/٢.

٤ التسهيل ١٥٢.

جوابها. من ذلك قوله تعالى: ؛ **والتّين والزّيتون وطُور سينين وهذا البلد الأميـــن، لقدْ خلقْنا الإنسانَ في أحْسَن تقْويم** ؛ (التين ١-٤).

وقوله تعالى: ؛ **والطُّور، وكتاب مسْطُور، في رقّ منْشُور، والبيْت المعْمُور، والسّقْف المرْفُوع، والبحْر المسْجُور، إنّ عذاب ربّك لواقعٌ** ؛ (الطور ١-٧).

وقوله تعالى: ؛ **لئنْ أقمْتُمُ الصّلاةَ وآتيْتُم الزّكاة، وآمنْتُم برُسُلي وعزّرْتُموهُمْ وأقْرَضْتُمُ اللهَ قرْضا حسَنا، لأُكفّرنّ عنْكُم سيّئاتكُم** ؛ (المائدة ١٢).

وقد يأتي جوابُ القسم فعلا ماضيا مقترنا باللاّم فقط دون، "قد"، وذكر ذلـــك سيبويه فقال[1]: "وسمعنا من العرب من يقول: والله لكذبت، و والله لكذب".

ومن ذلك قول امرئ القيس[2]:

حلفْتُ لها بالله حلْفة فاجر لنامُوا فما إنْ منْ حديث ولا صال

والشاهد مجيء جواب القسم في قوله "لناموا" باللام من غير "قد".

وذكر الصّيمري أنّ هذه اللام[3]: "لا تدخل على الفعل الماضي إلاّ مع "قـــد"، ولا يحْسُن حذف "قد" معها إلاّ في الشعر: كما قال امرؤ القيس...، ولم يستعمل فـــي القرآن فيما علمتُ إلاّ مع "قد" ".

ويُردّ عليه بورود ذلك في قوله تعالى: ؛ **ولئنْ أرْسلنا عليهم ريحـــا فـــرأوه مُصْفرّا لظلُّوا منْ بعْده يكفرون** ؛ (الروم ٥١). حيث جاء جواب القسم "لظلّوا" فعلا ماضيا مقترنا بـــ "اللام" دون "قد".

وعليه ورد كثير من شواهد النثر، من ذلك قوله- صلى الله عليه وســـلم-[4]: "والّذي نفسي بيده لَوَدِدْتُ أنّي أُقتلُ في سبيل الله ثم أحيا ثم أُقتل ثم أحيا ثـــم أُقتـــل" والشاهد فيه مجيء جواب القسم "لوَدِدْتُ" فعلا ماضيا متّصلا باللام بدون "قد".

وفي الحديث عن امرأة من غِفَار أنّها قالت[5]: "والله لنـــزل رســـول اللـــه- صلى الله عليه وسلم- إلى الصُّبح فأناخ".

---

[1] الكتاب ٣/١٠٥.

[2] الديوان ٣٢.

[3] التبصرة والتذكرة ١/٤٥٢-٤٥٣.

[4] الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب تمني الشهادة برقم ٢٧٩٧.

[5] الحديث أخرجه أحمد في [illegible] برقم ٢٦٦٠٠.

وذكر ابن عصفور أنّ الفعل الماضي[1]: "إن كان قريبا من زمن الحال أدخلت عليه اللام وقد، فقلت: والله لقد قام زيد، فإنّ "قد" تُقرّب من زمن الحال، وإن كان بعيدا من زمن الحال أتيت باللام وحدها فقلت: والله لقام زيدٌ"، وتعقّبه ابن هشام بقوله[2]: "وذكر ابن عصفور أن القسم إذا أجيب بماض متصرّف مثبت، فإن كان قريبا من الحال جيء باللام و"قد" جميعا نحو: "تالله لقدْ آثرك اللهُ علينا"، وإنْ كان بعيدا جيء باللام وحدها" كقوله:

حلفتُ لها بالله حلفة فاجر لناموا، فما إن من حديث ولا صال

والظاهر في الآية والبيت عكس ما قال، إذ المراد في الآية فضلك الله علينا بالصبر وسيرة المحسنين، وذلك محكوم له في الأزل، وهو متّصفٌ به مذ عقل، والمراد في البيت أنهم ناموا قبل مجيئه" .

وجاء جواب القسم فعلا ماضيا مُجرّدا من " اللام " و "قد" في التنزيل وذلك في قوله تعالى: **؛ والسّماء ذات البُروج واليوم الموْعُود وشاهد ومشْهُود قُتلَ أصحابُ الأُخْدُود** ؛ (البروج ١-٤).

والشاهد فيه مجيء الجواب "قُتلَ" فعلا ماضيا مُجرّدا من " اللام " و " قد ".

قال أبو حيان[3]: "وجواب القسم قيل محذوف، فقيل: لتُبْعثُنّ ونحوه، وقيل الجواب مذكور، فقيل: إنّ الذين فتنوا"، وقال المبرد[4]: "إنّ بطْش ربّك لشديد"، وقيل: "قُتل" وهذا نختاره...، ويكون الجواب دليلا على لعنة الله على من فعل ذلك وطرده من رحمة الله، وتنبيها لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على أنهم ملعونون".

وإن كان الفعل الماضي منفيّا غير متصرّف فلا يدخل عليه إلاّ اللام، قال الاستراباذي[5]: "وإن كان الفعل ماضيا مثبتا، فالأولى الجمع بين اللام وقد...، وأما في "نعْم وبئْس، فاللاّم وحدها، إذ لا يدْخُلُهما قد، لعدم تصرّفهما".

---

١ شرح الجمل ١/٥٢٦-٥٢٧.

٢ المغني ١/٢٩٥.

٣ البحر ٨/٤٤٣.

٤ المقتضب ٢/٣٣٧.

٥ شرح الكافية ٢/٣٣٩.

ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى[1]:

يَمينا لَنِعْمَ السَّيِّدان وُجدتُما على كلّ حال من سحيل ومُبْرَم

وورد الفعل الماضي غير المتصرّف "نِعْمَ" مُتّصلا باللام في جواب قسم مضمر في موضعين في الذكر الحكيم هما:

قوله تعالى: ؛ ولَنِعْمَ دارُ المتّقين ؛ (النحل ٣٠).

وقوله تعالى: ؛ ولَقَدْ نَادانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المُجيبُون ؛ (الصافات ٧٥).

وورد الفعل الماضي غير المتصرّف "بئس" مُتّصلا باللام في جواب قسم مضمر وذلك في عشرة مواضع منها:

قوله تعالى: ؛ ولبئس ما شَروا به أنْفُسَهُم ؛ (البقرة ١٠٢).

وقوله تعالى: ؛ وترى كثيرا منهم يُسارعُون في الإثْم والعُدْوان وأكْلِهِمُ السُّحْتَ لبئسَ ما كانُوا يعْمَلُون ؛ (المائدة ٦٢).

ب- **جملة الجواب ماضيا منفيا:**

ذكر النحاة[2] أن جواب القسم قد يرد فعلا ماضيا منفيا، وفي هذه الحالة ينفى الفعل بـ "ما" وهو الغالب نحو: والله ما قام زيدٌ، أو بـ "إنْ" او بـ "لا"، قال ابن أبي الربيع[3]: "وإن كانت الجملة فعلية مُصدّرة بماض نفي بـ "ما"، وبـ "إنْ"، وبـ "لا" إن أريد به الاستقبال".

ومن ذلك قول الشاعر[4]:

حَسْبُ المحبّين في الدُّنيا عذَابهُمُ بالله لا عذّبتْهُم بعدها سقرُ

وقد ورد الفعل الماضي المنفي بـ "ما" جوابا للقسم في ثمانية مواضع في الذكر الحكيم، منها ستة مواضع جاء فيها الفعل جوابا لقسم صريح، من ذلك قوله تعالى: ؛ يحْلِفُون بالله ما قالُوا ولَقَدْ قَالُوا كلمةَ الكُفْر ؛ (التوبة ٧٤).

وقوله تعالى: ؛ والنّجْم إذا هَوَى، مَا ضَلّ صاحبُكُمْ وما غَوَى ؛ (النجم ١-٢).

---

١ الديوان ١٠٥.

٢ انظر: شرح الكافية ٢/٣٤٠، وارتشاف الضرب ٢/٤٨٧.

٣ البسيط في شرح الجمل ٢/٤٨٧.

٤ قائله المؤمل بن أسيد المحاربي، انظر الخزانة ٣/٥٢٢.

وفي موضعين جاء الفعل جواباً لقسم مضمر هما: قوله تعالى: ﴿ ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذين أُوتوا الكِتَابَ بكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ (البقرة ١٤٥).

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لو كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا في العَذَابِ المُهِينِ ﴾ (سبأ ١٤).

وجاء جوابُ القسم فعلاً ماضياً منفياً بـ "إنْ" التي بمعنى "ما" في ثلاثة مواضع في الذكر الحكيم هي: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَاؤُكَ يَحْلِفُونَ باللهِ إنْ أَرَدْنَا إلاّ إحْسَانًا وتَوْفِيقًا ﴾ (النساء ٦٢).

وقوله تعالى: ﴿ ولَيَحْلِفُنَّ إنْ أَرَدْنَا إلاّ الحُسْنَى ﴾ (التوبة ١٠٧).

وقوله تعالى: ﴿ ولَئِنْ زَالَتَا إنْ أَمْسَكَهُما من أَحَدٍ مِنْ بَعْدِه ﴾ (فاطر ٤١).

المبحث الثاني: الجواب جملة اسميّة:

تأتي الجملة الاسمية في جواب القسم على ضربين: مثبتةً أو منفية.

أ- **الجواب اسمية مثبتة:**

ذكر النحاة[1] أن الجملة الاسمية المثبتة إذا جاءت جواباً للقسم صُدِّر جوابها بإنّ المكسورة "مشدّدة او مخففة أو باللام"، قال الاستراباذي[2]: "اعلم أنّ جواب القسم إمّا اسمية أو فعلية، والاسمية إما مثبتة أو منفية، فالمثبتة تُصدّر بإنّ المشدّدة أو المخفّفة، أو باللام".

أولاً: الجواب مُصَدَّراً بـ "إنّ" في الاسمية:

يردُ الجواب مُصَدَّراً بـ "إنّ" في الاسمية كثيراً، فقد ورد ذلك على شكلين هما:

الشكل الأول: جاء الجواب مُصَدَّراً بـ "إنّ" وحدها، وخبرها غير مقترن باللاّم، ورد ذلك في موضعين هما: قوله تعالى: ﴿ حم، والكِتَابِ المُبِينِ، إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعْقِلُون ﴾ (الزّخرف ١-٣).

---

١ انظر: شرح الجمل لابن عصفور ٥٢٦/١، وارتشاف الضرب ٤٨٣/٢.

٢ شرح الكافية ٣٣٨/٢.

وقوله تعالى: ﴿ حم، والكتاب المُبين، إنّا أنزلْناهُ في ليْلَة مُباركَة إنّا كُنّا مُنْذرينَ ﴾ (الدخان ١-٣).

"والآيتان مما لا يصح دخول اللام في خبر "إنّ" فيهما؛ لأنه ماض متصرف"[١].

الشكل الثاني: جاء الجواب مُصدّرا بـ "إنّ" وخبرها مقترن باللاّم، وذلك في ثمانية وثلاثين موضعا منها أربعة وعشرون موضعا جاءت فيها "إنّ" جوابا لقسم صريح، من ذلك قوله تعالى: ﴿ تاللّه إنّكَ لفي ضلالك القديم ﴾ (يوسف ٩٥).

وقوله تعالى: ﴿ فورَبّ السّمَاء والأرْض إنّهُ لحقّ مثْلما أنّكُم تنْطقُون ﴾ (الذاريات ٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ والسّماء ذات الرّجْع والأرْضِ ذات الصّدْع، إنّهُ لقولٌ فَصْلٌ ﴾ (الطارق ١١-١٣).

وبقيّة المواضع جاء فيها "إنّ" جوابا لقسم مضمر، منها قوله تعالى: ﴿ ولَئنْ أذقْنَا الإنسانَ منّا رحْمَةً ثُمّ نزعْنَاها منه، إنّهُ ليَئُوسٌ كفُور ﴾ (هود ٩). وقوله تعالى: ﴿ ولَئنْ كفرْتُم إنّ عذابي لشَديد ﴾ (إبراهيم ٧).

وفي حالة مجيء الجواب مُصدّرا بـ "إنّ" فإنّ الجواب يقع على خبر "إنّ"، يقول ابن يعيش[٢]: "فالجواب بـ "الفعل" واقع على الفعل، والجواب بـ "إنّ" واقع على الخبر؛ لأنه في معنى الفعل".

ومجيء اللام في خبر "إنّ" الواقعة في جواب القسم يزيد في شدّة توكيد القسم حيث تجتمع مؤكدات ثلاث: جملة القسم، وإنّ الواقعة في الجواب، واللام المتصلة بالخبر.

وذكر النحاة[٣] وجوب كسر همزة "إنّ" إذا جاءت في جواب القسم واقترن خبرها باللام، وكذلك إذا لم يقترن خبرها باللام وقد حذف فعل القسم، وأجازوا في هذا الأخير الوجهين أي: الكسر والفتح، حالة ذكر فعل القسم، وذهب الكوفيون في

---

١ دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عظيمة، القسم الأول ٤٨٢/١.

٢ شرح المفصل ٩٧/٩.

٣ أنظر هذه المسألة في حاشية الصبان ١٩٤/١، وهمع الهوامع ١٦٦/٢.

حالة حذف فعل القسم وعدم اقتران خبر "إنّ" باللام إلى جـــواز الوجهيـــن، خلافـا للبصريين الذين يوجبون الكسر في مثل هذه الحالة. ولم ترد "إنّ" مفتوحة الهمزة في جواب القسم في التـــنزيل، بل جاءت مكسورة الهمزة على الوجوب، من ذلك قولـــه تعالى: ﴿ **تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ القَدِيمِ** ﴾ (يوسف ٩٥)، وقوله تعالى: ﴿ **لَعَمرُكَ إِنَّهُـــم لَفِي سَكْرَتِهِم يَعْمَهُونَ** ﴾ (الحجر ٧٢).

وورد جواب القسم مُصَدَّراً بـــ "إنْ" المخفّفة من الثقيلة في ثلاثة مواضع في التـــنزيل هي:

قوله تعالى: ﴿ **تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ (الشعراء ٩٧).

قال أبو حيان[١]: "ومذهب البصريين في مثل هذا أن "إنْ" هي المخففـــة مـــن الثقيلة، وأن اللام هي الداخلة للفرق بين "إنْ" النافيـــة و " إنْ " التـــي هـــي لتـــأكيد مضمون الجملة".

وقوله تعالى: ﴿ **تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ** ﴾ (الصافات ٥٦).

قال أبو حيان[٢]: "قوله "تالله إنْ كدت لتُردين" أي: لتهلكنـــي بـــإغوائك، و"إنْ" مخففة من الثقيلة يلقى بها القسم".

وقوله تعالى: ﴿ **والسَّماءِ والطَّارِقِ، ومَا أَدْرَاكَ ما الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ، إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حَافِظٌ** ﴾ (الطارق ١-٤).

قُرِئَتْ "لمّا" بقراءتين، بالتضعيف "لمّا" وبالتخفيف "لما"، ووجّه أبو حيان قراءة التخفيف بقوله[٣]: "وقرأ الجمهور "إنْ خفيفة" "كُلُّ" رفعاً "لمَـــا" خفيفـــة، فهـــي عنـــد البصريين مُخفّفة من الثقيلة، و"كلّ" مبتدأ و"اللام" هي الداخلة للفرق بين "إنْ" النافيـــة و"إنْ" المخفّفة، و"ما" زائدة و"حافظ" خبر المبتدأ، و"عليها" متعلق به".

ففي قراءة التخفيف يكون جواب القسم قد تصدّر بـــ "إنْ" المخففة من الثقيلة، أما في قراءة التضعيف فتكون "إنْ" نافية بمعنى "ما" وقد ذكر ذلك أبو حيان فقال[٤]: "وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وعاصم وابن عمر وحمزة وأبو عمرو ونافع بخلاف

---

١ البحر ٢٥/٧.

٢ البحر ٣٤٧/٧.

٣ البحر ٤٤٨/٨.

٤ البحر ٤٤٩/٨.

عنهما "لمّا" مُشدّدة وهي بمعنى "إلاّ" لغة مشهورة في هذيل وغيرهم، تقول العرب: أقسمت عليك لمّا فعلت كذا أي: إلا فعلت قاله الأخفش، فعلى هذه القراءة يتعين أن تكون نافية، أي: ما كلُّ نفس إلا عليها حافظ".

ثانياً: الجواب مُصدّراً بـ "اللام" في الاسمية:

وردت اللام مُتصدّرة جواب القسم في الجملة الاسمية المثبتة في التنزيل في أربعة مواضع، وجاء ذلك في شكلين هما:

الشكل الأول: اللام + المبتدأ (اسم ظاهر) + الخبر

ورد ذلك في موضعين هما: قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ قُتِلتُم في سَبيل الله أَوْمُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله وَرَحْمَةٌ خَيرٌ مِمّا يَجْمَعُون** ﴾ (آل عمران ١٥٧).

قال الزمخشري[١]: ""المغفرة" جواب القسم وهو سادٌّ مسدَّ جواب الشرط".

وقوله تعالى: ﴿ **فَيُقْسِمَانِ بالله لشَهَادَتُنا أَحَقُّ من شَهادَتِهما** ﴾ (المائدة ١٠٧).

قال العُكْبري[٢]: "لشهادَتُنا أحَقُّ" مبتدأ وخبر، وهو جواب يُقسمان".

الشكل الثاني: اللام + المبتدأ (ضمير) + الخبر

وجاء ذلك في موضعين هما:

قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرين** ﴾ (النحل ١٢٦).

وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بالّذينَ هُمْ أَوْلى بها صليًا** ﴾ (مريم ٧٠).

وقوله تعالى: ﴿ **لَنَحْنُ** ﴾ جواب قسم؛ لأنه معطوف على ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿ **ثم لَنَنْزِعَنَّ** ﴾.

واختلف النحاة في اللاّم الداخلة على المبتدأ، ألام الابتداء هي أم لام جواب القسم، وينص على ذلك الخلاف ابن الأنباري بقوله[٣]: " ذهب الكوفيون إلى أن اللام في قولهم "لزيدٌ أفضل من عمر" جواب قسم مقدّر، والتقدير: والله لزيدٌ أفضلُ من عمرو، فأضمر اليمين اكتفاء باللام منها، وذهب البصريون إلى أن اللام لام الابتداء".

---

١ الكشاف ١/٤٧٤.

٢ إملاء ما منّ به الرحمن ١/٢٣١.

٣ الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٣٩٩.

ويعقّب الاستراباذي على قول الكوفيين فيقول[1]: "ومذهب الكوفيين أنّ السلام في مثل لزيدٌ قائمٌ جواب القسم أيضا، والقسم قبله مقدّر، فعلى هذا ليس في الوجود عندهم لام الابتداء...، ثم نقول: إنّ الأولى كون اللام في لزيدٌ قائمٌ لام الابتداء مفيدة للتأكيد ، ولا نقدّر القسم كما فعله الكوفية؛ لأن الأصل عدم التقدير، والتأكيد المطلوب من القسم حاصل من اللام".

ووردت الجملة الاسمية مُصدّرة بـ "بل" في جواب القسم عند بعضهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ص والقرآن ذي الذكر، بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ (ص ١-٢).

قال الأخفش[2]: "وقال بعضهم: "صاد والقرآن" فجعلها من صاديت، ثم أمر كما تقول: "رام"؛ لأنه قال: "صاد الحقّ بعملك" أي: تعمّده، ثم قال: "والقرآن" فأقسم، ثم قال: بل الذين كفروا في عزّة وشقاق"، فعلى هذا وقع القسم".

ب- الجواب اسمية منفية:

ذكر النحاة[3] أن الجملة الاسمية المنفية الواقعة في جواب القسم تنفى بـ "ما" أو "لا" أو "إنْ"، يقول الاستراباذي[4]: "والاسمية المنفية مُصدّرة بـ "ما" عند أهل الحجاز، مهملة عند غيرهم، أو بـ "لا" التبرئة على اختلاف أحوالها، نحو: والله لا زيدٌ فيها ولا عمرو،ووالله لا رجل في الدار، ووالله لا فيها رجلٌ ولا امرأة، وإمّا مُصدّرة بـ "إنْ" نحو: والله إنْ زيدٌ قائمٌ".

وقد وردت الجملة الاسمية منفية بـ "ما" وواقعة في جواب القسم في سبعة مواضع في الذكر الحكيم، وجاءت في ثلاثة أشكال هي:

الشكل الاول: ما + اسمها (ضمير) + خبرها (متصل بحرف الباء الزائد):

ورد هذا الشكل في ثلاثة مواضع منها موضع واحد ورد جوابا لقسم مضمر، وهو قوله تعالى: ﴿ **لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك** ﴾ (المائدة ٢٨).

---

[1] شرح الكافية ٢/٣٣٨.

[2] معاني القرآن ١/١٧٠.

[3] انظر: شرح الكافية ٢/٣٣٩، وارتشاف الضرب ٢/٤٨٧، وشرح الجمل ١/٥٢٦.

[4] شرح الكافية ٢/٣٣٩.

قال أبو حيان الأندلسي[1]: "قوله "ما أنا بباسط" هو جواب للقسم المحذوف قبل اللام في "لئن" المؤذنة بالقسم والموطئة للجواب لا للشرط، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه".

وجاء هذا الشكل في موضعين آخرين جوابا لقسم صريح، وذلك قوله تعالى: ﴿ ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ (القلم ١-٢).

وقوله تعالى: ﴿ والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، إنه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾ (الطارق ١١-١٤).

فقوله: "وما هو بالهزلِ" معطوف على جواب القسم "إنه لقول فصل" "والمعطوف على الجواب جواب"[2].

ويلحظ الباحث في هذه الآيات الثلاث سرّاً بيانيّاً يتجلى في مجيء جملة جواب القسم منفية بـ "ما" ومتصلا خبرها بحرف الباء الزائد عند بعضهم، ويراه الباحث حرفا أصليّاً أفاد معنى الإلصاق "ففي الآية الاولى نفى ابن آدم عن نفسه التفكير في القتل بل نفى عن نفسه أدنى لصوق لفكرة بسط اليد للقتل في نفسه، فضلا عن الإقدام على القتل ذاته. وفي الآية الثانية نفى المولى عز وجل إلصاق أدنى شيء من الجنون بنبيّه الكريم- صلى الله عليه وسلم- فضلا عن الصاق الجنون ذاته به- صلى الله عليه وسلم-، وفي الآية الثالثة نفى المولى عز وجل الصاق أدنى شيء أو أقل شيء من الهزل والكذب بكتابه الكريم، فضلا عن الصاق الهزل ذاته به.

الشكل الثاني: أداة النفي (ما) + جملة اسمية منسوخة بالفعل (كان)

وورد ذلك في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام ٢٣).

قال ابن الأنباري[3]: "قوله: "مَا كُنا مُشْرِكين" جواب القسم، و"ربنا" اعتراض وقع بين القسم وجوابه".

---

[1] البحر ٤٧٧/٣.

[2] شرح التصريح على التوضيح ٢٠٤/٢.

[3] البيان في غريب إعراب القرآن ٣١٧/١.

الشكل الثالث: أداة النفي (ما) + الخبر مقدم (شبه جملة) +المبتدأ مؤخر

ورد ذلك في ثلاثة مواضع في التنزيل هي:

قوله تعالى: ؛ **ولئن اتّبعْتَ أهْواءهُمْ بعْدَ الذي جاءك من العلْم، مالك من الله منْ ولي ولا نصيرٌ** ؛ (البقرة ١٢٠).

قال أبو حيان[1]: "واللام في "لئن" تسمى الموطّئة والمؤذنة، وهي تشعر بقسم مُقدّر قبلها، ولذلك يبنى ما بعد الشرط على القسم لا على الشرط، إذ لو بني على الشرط لدخلت الفاء في قوله "مالك"".

وقوله تعالى: ؛ **ولئن اتّبعْتَ أهْواءهُم بعْدَ ما جاءكَ من العلْم مالك منَ الله منْ ولي ولا واق** ؛ (الرعد ٣٧).

وقوله تعالى: ؛ **أولمْ تكونُوا أقْسمْتُم منْ قبْلُ ما لكم منْ زوال** ؛ (إبراهيم ٤٤).

قال الزمخشري[2]: "قوله: "ما لكُم" جواب القسم، وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله: أقْسمْتُم".

المبحث الثالث: اقتران الشرط بالقسم

ذكر النحاة[3] أحكاما تفصيلية لمسألة اقتران الشرط بالقسم، وبسطوا الحديث عنها، وذلك لأن كلا الأسلوبين يحتاج إلى جواب، وتكمن المشكلة في حالة اجتماعهما لمن يكون الجواب المذكور، أيكون للقسم أم للشرط أم يكون لكليهما؟، وقد ذكر النحاة أن القسم حالة اجتماعه بالشرط إما أن يتقدم على الشرط وإما أن يتأخر عنه.

---

[1] البحر ٥٣٩/١.

[2] الكشاف ٣٨٣/٢.

[3] انظر هذه المسألة في: الكتاب ٣٩٤/٢، وشرح المفصل ٢٢/٩، وشرح الكافية ٣٩٤/٢، وارتشاف الضرب ٤٨٩/٢.

أولا: تقدم القسم على الشرط:

في هذه الحالة يرى جمهور النحاة أن الجواب يجب أن يكون للقسم وأن جواب الشرط محذوف أغنى عنه جواب القسم المذكور، وقد ذكر ذلك سيبويه فقال[1]: "فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلاّ أن يكون عليه، ألا ترى أنك تقول: لئن أتيتني لا أفعل ذاك؛ لأنها لام قسم، ولا يحْسُن في الكلام "لئن تأتني لا أفعل؛ لأن الآخر لا يكون جزما".

وأجاز ابن مالك جعل الجواب للشرط المسبوق، فقال[2]:

وربّما رُجّح بعد قسم شرطٌ بلاذي خبر مُقدّم

غير أن الرضي خصّ ذلك بالشعر فقال[3]: "ويجوز قليلا في الشعر اعتبار الشرط وإلغاء القسم مع تصدُّره، كقول الأعشى[4]:

لئنْ مُنِيتَ بنا عنْ غبّ معْرَكَة لا تُلْفنا عن دماء القوْم ننتقلُ

هذا إذا لم يتقدم عليهما ذو خبر، فإن تقدم على القسم والشرط ما يطلب خبرا، فقد أجاز جمهور النحاة[5] في هذه الحالة جعل الجواب للشرط مع تقدم القسم عليه، خلافا لابن مالك الذي أوجب في هذه الحالة جعل الجواب للشرط، فقال[6]: "وإذا توالى قسم وأداة شرط غير امتناعي، استغني بجواب الأداة مطلقا إن سبق ذو خبر".

غير أن ابن مالك خالف قوله هذا بقوله في النظم[7]:

وإنْ توالِيا وقَبْلُ ذو خبر فالشرط رجّحْ مطلقا بلا حذر

فيُفهَمُ من قوله الأول في "التسهيل" أن ذلك على الوجوب لا يجوز الخروج عنه، في حين يفهم من قوله الثاني في النظم أن ذلك على الراجح لا على الوجوب،

---

[1] الكتاب ٨٤/٣.

[2] انظر شرح ابن عقيل ٣٨٣/٢

[3] شرح الكافية ٣٩٢/٢.

[4] انظر: شرح المعلقات العشر للخطيب التبريزي ٣٤٨.

[5] انظر ارتشاف الضرب ٤٨٩/٢.

[6] تسهيل الفوائد ١٥٣.

[7] انظر شرح ابن عقيل ٢ / ٣٨٢.

وفرق بين الراجح والواجب، ومثال ذلك قولنا: أنا والله إنْ تأتني اتك، وأنا والله إنْ تأتني لآتينّك.

ويذكر ابن الحاجب[1] " أن القسم إذا تقدم على الشرط لزم فعل الشرط "المُضيّ لفظا أو معنى"، ويقول ابن عصفور[2]: "ولا يكون فعل الشرط إذا تقدم القسم إلاّ ماضيا؛ لأن جواب الشرط لا يحذف إلاّ إذا كان فعله ماضيا". ونبّه على ذلك أبو حيان أيضاً فقال[3]: "وإذا أغنى جواب القسم عن جواب الشرط لزم أن يكون فعل الشرط بصيغة الماضي أو منفيّا بـ "لم" فلا يجوز أن تقول: والله إن يقم زيد لأقومنّ، ولا والله إن لا يقم زيد لأقومن، و لا والله إن قام زيد لقمت، إلاّ أن يكون الماضي وقع موقع المستقبل، كقوله تعالى: ؛ **ولَئِنْ أرسلْنا عليهم ريحا فرأوْه مصفرّا لظلُّوا** ؛ أي "ليظلُنّ" وهو قليل".

وقد ورد اقتران القسم بالشرط في التنزيل في خمسة وستين موضعا، جاء القسم في جميع تلك المواضع متقدّما على الشرط، منها خمسة مواضع جاء القسم فيها صريحا، من ذلك قوله تعالى: ؛ **وأقْسَمُوا بالله جهْدَ أيْمانهم لَئِنْ جاءتْهم آيةٌ ليؤْمِنُنّ بها** ؛ (الأنعام ١٠٩).

وقوله تعالى: ؛ **وأقْسَمُوا بالله جهْدَ أيْمانهم لئِنْ أمرْتهم ليَخْرُجُنّ** ؛ (النور ٥٣).

وقوله تعالى: ؛ **وأقْسَمُوا بالله جهْدَ أيْمانهم لئِنْ جاءهُم نذيرٌ ليكُونُنّ أهْدى منْ إحْدى الأُمَم** ؛ (فاطر ٤٢). وفي بقية المواضع ورد القسم مضمرا، من ذلك قوله تعالى: ؛ **قُلْ لئِنْ اجْتمعتْ الإنْسُ والجنُّ على أنْ يأْتوا بمثْل هذا القُرآن لا يأْتُونَ بمثْله ولَو كانَ بعْضُهُم لبعْض ظهيرا** ؛ (الإسراء ٨٨).

قال ابن الأنباري[4]: "اللام في "لَئِنْ"، موطّئة للقسم وإن حرف شرط، وجوابه محذوف قام مقامه قوله: (لا يأتون بمثْله)، ولا يجوز أن يكون "لا يأتون بمثله" جوابا للشرط، لإثبات النون في "يأتون"، وإنما هو جواب قسم مقدّر هيأته اللام في (لئن)،

---

١ الكافية مع الشرح ٢/٣٩١.

٢ المقرّب ١/٢٠٨.

٣ ارتشاف الضرب ٢/٤٨٧-٤٨٨.

٤ البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٩٥.

ذكرها". وذكر الرضي[1]: "أنها عند غير سيبويه تعد زائدة، وذهب أبو حيان[2] إلى القول بأنها مخففة من الثقيلة.

واختلف النحاة[3] في حالة مجيء الشرط الامتناعي (وهو ما كان متصدّراً بلو أو لولا) بعد القسم ، لمن يكون الجواب المذكور، فذهب جمهورهم إلى القول بأن الجواب المذكور هو جواب القسم وجواب الشرط الامتناعي محذوف دل عليه جواب القسم المذكور، وفقا لقاعدة اقتران القسم بالشرط يكون الجواب للمتقدم منهما، وذهب ابن مالك فيما نقله عنه أبو حيان إلى أن الجواب المذكور هو جواب الشرط وجملة الشرط هي جواب القسم، يقول أبو حيان[4]: "وكلام ابن مالك يقتضي اضطرابا زعم أنّ الجملة المصدّرة بلو، وجوابها هي الجملة المقسم عليها وأنها واقعة جواباً للقسم، وكذا "لولا" فإذا قلت والله لولا زيدٌ لأكرمتك، ووالله لو قام زيد قام عمرو كانت هذه الجملة نفس جواب القسم".

وذهب إلى هذا الرأي من العلماء المحدثين عباس حسن فقال[5]: "إن كان القسم هو المتقدم على الشرط الامتناعي، فالصحيح أن الجواب المذكور هو للشرط أيضا، وأن الشرط وجوابه جواب للقسم، لم يغن شيء عن شيء، والجوابان مذكوران، لم يحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه؛ نحو: والله لولا اللهُ ما اهتدينا، فجملة: "ما اهتدينا" هي جواب "لولا". وهذه مع جوابها جواب القسم".

وقد ورد الشرط الامتناعي بعد القسم في التنزيل في قوله تعالى: **؛ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ؛** (التوبة ٤٢).

قال الزمخشري[6]: "وقوله: "لخرجْنا" سدّ مسدّ جوابي القسم ولو جميعا".

---

١ انظر شرح الكافية ٣٩٢/٢.

٢ انظر ارتشاف الضرب ٤٨٣/٢.

٣ انظر هذه المسألة في: شرح الكافية ٣٩٤/٢.

٤ انظر: ارتشاف الضرب ٤٨٩/٢.

٥ النحو الوافي ٤٨٨/٤.

٦ الكشاف ١٩١/٢.

والتقدير قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القران فوالله لا يأتون بمثله".

وقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ ﴾ (الحشر ١٢).

قال ابن الأنباري[1]: "لم يجزم (يخرجون وينصرون)؛ لأنهما جوابا قسمين قبلهما، وتقديره: والله لا يخرجون معهم ولا ينصرونهم، فلذلك لم ينجز ما بحرف الشرط".

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السموات والأرض لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيزُ العليم ﴾ (الزخرف ٩).

" وهذه اللام في "لئن" يسميها بعضهم لام الشرط لدخولها على حرف الشرط، وبعضهم يسميها "الموطئة"؛ لأنها يتعقبها جواب القسم كأنها توطئة لذكر الجواب، وليست جوابا للقسم"[2].

وقد تحذف هذه اللام في "لئن"، قال سيبويه[3]: "ولابد من هذه اللام مظهرة أو مضمرة".

وقد ورد إضمارها في التنزيل من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ لم يَنْتَهوا عما يَقُولُون لَيَمَسَّنَّ الذين كفروا مِنْهُمْ عذابٌ أليمٌ ﴾ (المائدة ٧٣).

قال الزجاج[4]: "والتقدير: ولئن لم ينتهوا".

وسيأتي الحديث عن حذفها بالتفصيل في موضعه من هذا البحث.

ودخلت هذه اللام الموطّئة على (ما) الشرطية وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيين لما آتَيْتُكُم مِنْ كتاب وحكمة ثُمَّ جاءكم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما معكم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ (آل عمران ٨١).

---

[1] البيان في غريب إعراب القرآن ٤٢٨/٢.

[2] شرح المفصل لابن يعيش ٢٢/٩.

[3] الكتاب ٦٦/٣.

[4] إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٦٦١/٢.

قال الأنباري[1]: "ويجوز في (ما) وجهان:

أحدهما: أن تكون بمعنى الذي.

والثاني: أن تكون شرطية...، وإذا كانت شرطية فهي في موضع نصب بـ آتيتكم، وآتيتكم في موضع (جزم) بما، وكذا (ثم جاءكم)، في موضع الجزم. وقوله لتؤمنُنّ به، جواب قسم مقدّر ينوب عن جواب الشرط، واللام في (لما) بمنزلة اللام في (لئن)".

ودخلت اللام الموطئة على (منْ) الشرطية في قوله تعالى: ﴿ **لمنْ تبعكَ منْهُم لأملأنّ جهنّم منكُم أجْمعين** ﴾ (الأعراف ١٨). قال الزمخشري[2]: "واللام في (لمن تبعك) موطئة للقسم ، و(لأملأنّ) جوابه، وهو سادٌّ مسد جواب الشرط".

وقوله تعالى: ﴿ **ولقدْ علمُوا لمنِ اشتراهُ مالهُ في الآخرة منْ خلاق** ﴾ (البقرة ١٠٢).

قال العكبري[3]: "قوله "لَمَن اشتراهُ" اللام هنا هي التي يوطأ بها للقسم مثل التي في قوله "لئن لم ينته المنافقون" و"من" في موضع رفع بالابتداء، وهي شرط، وجواب القسم "ماله في الآخرة من خلاق".

وذكر سيبويه أنّ "أنّ" الداخلة على "لو" موطئة للقسم كاللام في "لئن". قال سيبويه[4]: "ومثل هذه اللام الأولى "أنْ" إذا قلت: والله أنْ لو فعلت لفعلت".

وهي عند ابن عصفور[5] حرف ربط يربط القسم بالمقسم عليه. وتعقّب ابن هشام رأي ابن عصفور بقوله[6]: "ولو كانت "أنْ" للربط لوجب ذكرها، ولا شبهة في جواز قولنا: والله لو قام زيد لقام عمرو، وترك "أنْ" في مثله أولى وأكثر من

---

١ البيان ٢٠٩/١.

٢ الكشاف ٧١/٢.

٣ إملاء ما منّ به الرحمن ٥٦/١.

٤ الكتاب ١٠٧/٣.

٥ شرح الجمل ٥٢٨/١.

٦ مغني اللبيب ٣٣/١.

ونلحظ من هذا القول للزمخشري أنه يرى أن الجواب المذكور عند اقتران الشرط بالقسم هو جواب لهما معا، ولم يُغنِ أحدهما عن الآخر خلافا لما قرّره جمهور النحاة من أن الجواب المذكور هو للمتقدم منهما وجواب الآخر محذوف دلّ عليه المذكور، وقد ذكر الزمخشري رأيه هذا في أكثر من موضع، من ذلك قوله تعالى: ؛ **وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون** ؛ (الأعراف ٩٠).

قال الزمخشري[١]: "فإن قلت: ما جواب القسم الذي وطّأته اللام في: لئن اتبعتم شعيبا وجواب الشرط؟، قلتُ: قوله- إنّكم إذا لخاسرون- ساد مسد الجوابين".

ويرى ابن جني [٢] أنّ اللام الواقعة بعد "لو" و"لولا" هي اللاّم الواقعة في جواب قسم مُقدّر قبل الشرط بـ"لو" و"لولا"، وذهب إلى ذلك الزمخشري[٣] وابن يعيش، قال ابن يعيش[٤]: "بعضهم يجعل هذه اللام قسما برأسه وقعت في جواب "لو" و"لولا" لتأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى، والمحققون على أنها اللام التي تقع في جواب القسم، فإذا قلت لو جئتني لأكرمتك، فتقديره: والله لو جئتني لأكرمتك، وكذلك اللام في جواب "لولا" إذا قلت: لولا زيد لأكرمتك، فتقديره: والله لولا زيدٌ لأكرمتك".

وتعقب ابن هشام رأي ابن جنّي فقال[٥]: "وزعم أبو الفتح أن اللام بعد "لو" و"لولا" و"لوما" لام جواب قسم مقدّر، وفيه تعسُّف".

وليس من قبيل اقتران الشرط بالقسم مجيء "إذا" بعد القسم نحو قوله تعالى: ؛ **والليل إذا يغشى** ؛، وقد ورد ذلك في التنزيل في ثلاثة عشر موضعا هي:

١- ؛ **والنجم إذا هوى** ؛ (النجم ١).

٢- ؛ **والصبح إذا أسفر** ؛ (المدثر ٣٤).

٣- ؛ **والليل إذْ أدبر** ؛ (المدثر ٣٣).

---

١ المصدر السابق ٢/٩٧.

٢ انظر: سر صناعة الإعراب ١/٣٩٣-٣٩٤.

٣ انظر: شرح المفصل ٩/٢٢.

٤ المرجع السابق نفس الصفحة.

٥ مغني اللبيب ١/٣٨٨.

٤- ؛ واللّيْل إذا عسْعس ؛ (التكوير ١٧).

٥- ؛ والصُّبْح إذا تنفّس ؛ (التكوير ١٨).

٦- ؛ والقمَر إذا اتّسق ؛ (الانشقاق ١٨).

٧- ؛ واللّيْل إذا يسْرِ ؛ (الفجر ٤).

٨- ؛ والقمر إذا تلاها ؛ (الشمس ٢).

٩- ؛ والنّهار إذا جلاّها ؛ (الشمس ٣).

١٠- ؛ واللّيْل إذا يغْشاها ؛ (الشمس ٤).

١١- ؛ واللّيْل إذا يغْشى ؛ (الليل ١).

١٢- ؛ والنّهار إذا تجلّى ؛ (الليل ٢).

١٣- ؛ والضُّحى واللّيْل إذا سجى ؛ (الضحى ١-٢).

قال ابن هشام[1]: "إذا بعد القسم ظرف للحال، فليس فيها معنى للشرطية، ولا تدل على الاستقبال".

وقال الرضي[2]: "ليس في "إذا" في نحو قوله تعالى: ؛ واللّيْل إذا يغْشى ؛ معنى الشرط، إذ جواب الشرط إما بعده أو مدلول عليه بما قبله، وليس بعده ما يصلح للجواب، لا ظاهرا ولا مقدّرا، لعدم توقف معنى الكلام عليه، وليس ها هنا ما يدل على جواب الشرط قبل "إذا" إلا القسم، فلو كان "إذا" للشرط كان التقدير: إذا يغشى أقسم، فلا يكون القسم منجزا، بل معلقا بغشيان الليل، وهو ضد المقصود، إذ القسم بالضرورة حاصل وقت التكلم بهذا الكلام، وإن كان نهارا غير متوقف على دخول الليل".

ويرى الدكتور سمير ستيتيّه[3] أن "إذا" في هذا الموضع قد أفرغت من دلالتها الشرطية- وهو ما أسماه بالشرط المفرّغ- وانصرفت دلالتها إلى الظرف المحض.

ويرى كاظم الراوي[4]: "أن "إذا" بعد القسم في هذه الآيات إنما تدل على استغراق الزمن، وكأنّ القول: أقسم بهذه الآيات التي يتجدّد ظهورها كل حين أمام

---

[1] المرجع السابق ١/٢٠٠.

[2] شرح الكافية ٢/١٠٤.

[3] انظر: الشرط والاستفهام في الأساليب العربية ص٤٥.

[4] أساليب القسم في اللغة العربية ٥١٩.

أعينكم، وفي هذه المعاني ما فيها من لفت النظر بصورة القسم إلى ايات الله الدالة على كمال قدرته، فإن ما يصنعه البشر مما وصل الغاية في الدّقة لا يلبث أن يخلق ويبلى، ولكن ايات الله التي مضى عليها الزمن تتجد كما هي، وسوف تبقى كذلك حتى يقوم الناس لربّ العالمين".

ثانيا: تقدم الشرط على القسم:

يذكر النحاة[1] أنه يجوز في هذه الحالة وجهان:

الأول: أن يكون الجواب للشرط، وجواب القسم محذوف، نحو: إنْ تأتني والله آتك.

قال ابن الشجري[2]: "وإن تقدم الشرط كان القسم معترضا والجواب للشرط، مثل: إنْ قمت- والله- قمتُ".

وقال ابن يعيش[3]: "ومثال تصدُّر الشرط قولك: إنْ تقُم والله أقُمْ جزمت الجواب بحرف الجزاء لتصدُّره وألغيت القسم لأنه حشو".

الثاني: أن يكون للقسم جواب وجملة القسم هي جواب الشرط:-

نحو: إنْ أتيتني فوالله لآتينّك.

قال الاستراباذي[4]: "وإذا تقدم الشرط على القسم وجب اعتباره لتقويه بالتَصدُر مع كونه في الأصل أقوى من القسم، ويجوز لك بعد هذا اعتبار القسم أيضا لإمكانه، نحو: إنْ أتيتني فوالله لآتينّك، فالقسم وجوابه جواب الشرط.

وقال أبو حيان[5]: "ويجوز أن تقع الجملة القسمية جوابا للشرط، نحو: إنْ تزرني فوالله لأكرمنّك".

وفي هذين الوجهين السابقين يكون الجواب للشرط سواء تقدم على ذلك الشرط طالب خبر أو لم يتقدم عليه ذلك.

---

[1] انظر هذه المسألة في: شرح الكافية للاستراباذي ٣٩٤/٢.

[2] الأمالي الشجرية ٢٤٠/١.

[3] شرح المفصل ٢٢/٩.

[4] شرح الكافية ٣٩٣/٢.

[5] ارتشاف الضرب ٤٩٠/٢.

ولا نكاد نجد في التنزيل شاهدا على تقدم الشرط على القسم إلاّ شاهدا واحدا هو قوله تعالى: ؛ **مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياة طَيِّبَةً** ؛ (النحل ٩٧).

فقد جاءت الفاء في قوله: "فلنحيينّه" واقعة في جواب الشرط "مـــنْ"، وكـــأن التقدير: مَنْ عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فوالله لنُحيينّهُ حيـــاة طيبـــة، فقوله: "لَنُحْيِيَنَّهُ" اللام واقعة في جواب قسم مقدّر بعد الفاء" والجملة القسمية "فلنحيينّه" برمتها واقعة في جواب الشرط.

المبحث الرابع: المحذوفات في جملة الجواب

يطرأ على جملة الجواب حذوفات عدّة، فقد يُحذف جواب القسم، وقد تُحـــذف "لا" من الجواب ، أو اللام الموطئة للقسم، أو لام الجواب. ويمكننا تناول كل حـــذف من هذه المحذوفات على حدة.

أولا: حذف جواب القسم:

يحذف جواب القسم وجوبا وجوازا ، أما وجوبا ففي المواضع الآتية:

١- إذا اجتمع شرط وقسم فتقدم الشرط على القسم، وذلك نحو: إنْ تُطع اللّهَ واللّه تُفْلِحْ.

وقد أسلفنا الحديث عن ذلك في موضع سابق من هذا البحث. ولم أقف فـــي التـــنزيل إلاّ على موضع واحد اقترن فيه الشرط بالقسم وتقدم الشرط على القســـم، وكانت الجملة القسمية المكوّنة من القسم المقدّر وجوابه جوابا للشرط، وذلك قولـــه تعالى: ؛ **مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِـــنٌ فَلَنُحْيِيَنَّـــهُ حَيَـــاةً طَيِّبَـــةً** ؛ (النحل ٩٧).

٢- إذا تقدم عليه أو اكتنفه ما يغني عن الجواب، ويذكر ابن هشام هذه الحالة بقوله[١]: "يجب حذف جواب القسم إذا تقدّم عليه، أو اكتنفه ما يغني عن الجواب، فالأول نحو: زيد قائم والله...، والثاني نحو: زيد والله قائمٌ".

وقال الاستراباذي[٢]: "ويحذف جوابه إذا اعترض أو تقدمه ما يدل عليه".

وقد ورد في التنزيل جواب القسم محذوفا، وقد تقدم على القسم ما يغني عن الجواب. وذلك قوله تعالى: ﴿ **قالُوا لنْ نُؤثرَك على ما جاءنا من البيِّنات والّذي فطرنا** ﴾ (طه ٧٢).

قال الفراء[٣]: "ولو أرادوا بقولهم: "والذي فطرنا" القسم بها كانت خفضا وكان صوابا، كأنّهم قالوا: لن نؤثرك واللّه".

وأما حذف جواب القسم جوازا فيكون ذلك "إذا كان السياق السابق أو اللاحق دالاّ عليه أو مرشدا إليه"[٤]. وفي التنزيل شواهد عديدة على هذه الحالة، فقد حذف جواب القسم في التنزيل في أربعة عشر موضعا، اختلفت اراء النحاة والمفسرين وتعدّدت أقوالهم في تقدير هذه الأجوبة المحذوفة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **ق، والقُرآن المجيد** ﴾ (ق ١). فقد اختُلف في تقدير الجواب. فقيل ": "لنهلكن" بدليل "كم أهلكنا"، أو إنّك لمنذر، بدليل "بل عجبوا ان جاءهم منذر"، وقيل الجواب مذكور، فقال الأخفش: "قد علمنا"، وحذفت اللام للطول، مثل "قدْ أفلح منْ زكّاها"، وقال ابن كيسان: "ما يلفظ من قول"، والكوفيون "بل عجبوا" والمعنى لقد عجبوا، وبعضهم "إنّ في ذلك لذكرى"[٥].

ومثله قوله تعالى: ﴿ **ص، والقُرآن ذي الذّكْر** ﴾ (ص ١)، فقد اختُلف في جوابه فقيل:" "إنه لمعجز"، او "إنك لمن المرسلين"، أو ما الأمر كما يزعمون، وقيل

---

١ مغني اللبيب ٢/٣٨٧.

٢ شرح الكافية ٢/٣٤٠.

٣ معاني القرآن ٢/١٨٧.

٤ أساليب القسم في العربية، د. فايز الزرين ١٣٤.

٥ مغني اللبيب ٢/٣٨٨.

مذكور، فقال الكوفيون والزجاج: "إنّ ذلك لحق"، وفيه بعد، ... وقيل "كم أهلكنا" وحذفت اللام للطول"[1].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ؛ **والنّازعات غرْقا والنّاشطات نشْطا ... يوْم ترْجفُ الرّاجفَة تتْبعُها الرّادفة** ؛ (النازعات ١-٧).

ذكر أبو حيان[2] أن المختار في جواب القسم أن يكون محذوفا والتقدير: لتُبْعثُنّ لدلالة ما بعده عليه، وهو قوله: ؛ **أ إذا كُنّا عظاما نخرة** ؛ (النازعات ١١)، وهو ما ذهب إليه الفراء[3]، وقيل: إنّ الجواب قوله تعالى: ؛ **إنّ في ذلك لعبرة لمنْ يخْشى** ؛ (النازعات ٢٦)، ونقل عن ابن الأنباري أن هذا قبيح لطول الفصل، ويرى الباحث أنه أولى من التقدير.

ويرى الباحث أن جواب القسم محذوف في قوله تعالى: ؛ **ولمن انتصر بعْد ظلْمه فأُولئك ما علَيْهم من سبيل** ؛ (الشورى ٤١).

فالحذف حاصل في هذه الآية بدلالة التركيب؛ لأن الفاء لا تكون في جواب القسم وإنما هي الفاء الواقعة في جواب الشرط، قال أبو حيان[4]: "ولمن انتصر" لام توكيد، قال الحوفي: "وفيها معنى القسم"، وقال ابن عطية: "لام التقاء القسم"، يعنيان أنها اللام التي يتلقى بها القسم، فالقسم قبلها محذوف، و"من" شرطية، والفاء جواب الشرط".

ونلحظ في هذه الآية مجيء القسم والشرط مقترنين وقد تقدم القسم، والأصل مجيء الجواب للمتقدم منهما وهو القسم، ولكن الجواب قد أتى مقترنا بـ "فاء" الشرط مما يؤكد أنه جواب للشرط، فيكون جواب القسم محذوفا حملا على قول ابن مالك السابق ذكره في موضع سابق من هذا البحث، حيث يجيز أن يكون الجواب للشرط وإن تأخّر عن القسم.

---

١ المرجع السابق ٣٨٨/٢.

٢ البحر ٤١٢/٨.

٣ انظر معاني القرآن ٢٣١/٣.

٤ البحر ٥٠٠/٧.

ويجوز أن يحذف الجواب إذا جاء القسم مسبوقا بحرف جواب عن سؤال سابق، ويشير إلى ذلك أبو حيان بقوله[1]: "ويجوز أن يستغنى عن الجواب بقسم مسبوق ببعض حروف الإجابة، وهي: بلى ونعم ولا ومرادفتها أي وأجل".

وقد ورد ذلك في التنزيل في موضعين هما: قوله تعالى: ؛ **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق، قالوا بلى وربنا، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ؛ (الأنعام ٣٠).

وقوله تعالى: ؛ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق، قالوا بلى وربنا، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ؛ (الأحقاف ٣٤).

والتقدير في الموضعين: بلى وربنا إنّ هذا لهو الحق.

ثانيا: حذف "لا" من جواب القسم:

أجاز النحاة حذف "لا" النافية الداخلة على الفعل المضارع من جواب القسم، قال سيبويه[2]: "وقد يجوز لك وهو من كلام العرب ان تحذف "لا" وأنت تريد معناها، وذلك قولك: والله أفعلُ ذاك أبدا، تريد والله لا أفعل ذلك أبدا".

ويرجع سبب ذلك الحذف عندهم إلى التخفيف؛ لأن "لا" أكثر استعمالا من غيرها، وكثرة الاستعمال تستلزم التخفيف، قال ابن يعيش[3]: "وأما حذف "لا" في جواب القسم فنحو قولك: والله يقوم زيد، والمراد لا يقوم؛ لأنه تخفيف لا يوقع لبسا، إذ لو كان ايجابا لكان بحروفه اللازمة له من اللام ونون التوكيد".

وقال الاستراباذي[4]: "وإنما حكم بأن المحذوفة من المضارع "لا" دون "ما"؛ لأنها أكثر استعمالا في نفي المضارع من "ما"".

ومن أمثلة حذف "لا" من جواب القسم قول امرئ القيس[5]:

فقلتُ: يمينُ الله أبرحُ قاعدا ولو قطعُوا رأسي لديك وأوصالي

---

[1] ارتشاف الضرب ٢/٤٩٤.

[2] الكتاب ٣/ د ١٠.

[3] شرح المفصل ٩/٩٧.

[4] شرح الكافية ٢/٣٤٠.

[5] ديوان امرئ القيس ٣٢.

والتقدير هنا "لا أبرحُ".

وقول النابغة[1]:

فقالت: يمينُ الله أفعل إنّني رأيتُكَ مسْحُورا يمينُكَ فاجره

والتقدير: "لا أفعلُ".

وقد ورد حذف "لا" من الفعل المضارع في جواب القسم في موضع واحد في التنزيل هو قوله تعالى: ؛ **قالُوا تالله تَفْتَؤُ تَذْكُر يُوسُف حتّى تكون حرضا أوْ تَكُون من الهالكين** ؛ (يوسف ٨٥).

قال العكبري[2]: "قوله تعالى: ؛ **تفتؤ** ؛ أي: لا تفتؤ، فحذفت "لا" للعلم بها".

ثالثا: حذف اللام الموطئة للقسم:

أجاز النحاة أن تحذف اللام الموطئة للقسم مع تقدير قسم قبل الشرط، قال سيبويه[3]: "فلو قلت: إنْ أتيتني لأكرمنّك، وإن لم تأتني لأغمنّك، جاز لأنه في معنى لئن أتيتني لأكرمنك، ولئن لم تأتني لأغمنّك ولابد من هذه اللام مضمرة أو مظهرة؛ لأنها لليمين، كأنك قلت: والله لئن أتيتني لأكرمنّك".

وقد ورد حذف اللام في "لئن" الموطئة للقسم في التنزيل في أربعة مواضع هي:

١- قوله تعالى: ؛ **وإنْ لمْ ينْتَهُوا عمّا يقُولُون ليمسّنّ الّذين كفرُوا منْهُم عذابٌ أليم** ؛ (المائدة ٧٣).

قال أبو حيان[4]: "و"ليمسّنّ" اللام فيه جواب قسم محذوف قبل أداة الشرط، وكثر مجيء هذا التركيب".

---

١ ديوان النابغة ١٣٥.

٢ إملاء ما منّ به الرحمن ٢ / ٥٨.

٣ الكتاب ٣/٦٦.

٤ البحر ٣/٥٤٤.

٢- قوله تعالى: ﴿ وإنْ أطعتُموهُم إنّكُم لمُشْرِكُون ﴾ (الانعام ١٢١).

ذهب أبو حيان في هذه الآية إلى تقدير لام التوطئة وجعل قوله: "إنّكُم لمُشْرِكُون" جوابا لقسم مقدّر، فقال[١]: "وجواب الشرط: زعم الحوفي: "أنه (إنكم لمشركون) على حذف الفاء، أي: فإنكم" وهذا الحذف من الضرائر، فلا يكون في القرآن، وإنما الجواب محذوف، "وإنكم لمشركون" جواب قسم محذوف، التقدير: والله إن أطعتموهم".

ويرى الدكتور سمير ستيتية أن ما ذهب إليه أبو حيان من التأويل فيه شيء من الاعتساف في توجيه الآية حيث يقول[٢]: "فلو كانت الجملة الاسمية "إنكم لمشركون" جوابا لقسم محذوف، لتعين دخول اللام الموطئة للقسم قبل الشرط، وذلك من أجل أن تكون دليلا على شيئين أولهما: أن تكون دليلا على القسم المحذوف، ثانيهما: أن تكون دليلا على أحقية القسم بالجواب المذكور في الآية وهو: "إنكم لمشركون"... ولمّا لم يكن الأمر كذلك، فإن القول بأنّ هذه الجملة هي جواب لقسم محذوف، وإنّ جواب الشرط محذوف، لابد أن يؤخذ بشيء من الحذر والتحفظ".

ويرى الباحث أنّ قوله: "إنكم لمشركون" هو جواب للشرط، لا جواب قسم كما قدّرها أبو حيان؛ لأن حذف الفاء في هذا الموضع أظهر من تكلف تقدير ثلاث حذوفات عند أبي حيان هي" والله لئن أطعمتوهم والله إنكم لمشركون" ، وقضية حذف الفاء في جواب الشرط هي مسألة قد أجازها بعض النحاة[٣].

٣-٤ قوله تعالى: ﴿ وإنْ لمْ تغْفِرْ لنا وترْحمْنا لنكُونَنّ من الخاسرين ﴾ (الأعراف ٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ وإنْ قُوتِلْتُم لننْصُرنّكُم ﴾ (الحشر ١١).

ويرى الباحث أن تقدير حذف لام التوطئة في الآيات الأخر عدا آية الأنعام، هو تقدير يقتضيه السياق اللغوي، ويدل عليه دليل هو مجيء اللام الواقعة في جواب

---

١ البحر ٤/٢١٥.

٢ الشرط والاستفهام في الأساليب العربية ١٦-١٧.

٣ انظر تفصيل ذلك في البحر المحيط ٤/٢١٣. وقد ناقش هذه القضية من العلماء المحدثين د. سمير ستيتية في "الشرط والاستفهام في الأساليب العربية".

القسم الداخلة على الفعل المضارع والمقترنة بنون التوكيد الثقيلة، حتى ينسجم ذلك مع القاعدة النحوية لاجتماع الشرط والقسم، حيث يكون الجواب للمتقدم منهما.

رابعا: حذف لام الجواب:

ذكر ابن هشام[1] أن حذف لام (لقد) يحسن مع طول الكلام. وقد قدّر النحاة حذف لام الجواب في بعض المواضع في التنزيل، من ذلك قوله تعالى: ؛ **قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا** ؛ (الأعراف ٨٩).

حيث جوّز الزمخشري[2] أن يكون قوله "قد افترينا" جوابا لقسم مقدّر على حذف اللام، تقديره: والله لقد افترينا على الله كذبا.

ومن ذلك قوله تعالى: ؛ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا .... قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** ؛ (الشمس ١-٩).

قال العكبري[3]: "جواب القسم "قد أفلح" وحذف اللام لطول الكلام".

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ؛ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ** ؛ (البروج ١-٤).

وقد اختلف في تقدير جواب القسم في هذه الآية، ومن هذه التأويلات أن الجواب قوله: "قتل أصحاب"، قال العكبري[4]: "وجوابه محذوف: أي لتبعثُنّ ونحوه، وقيل جوابه قتل: أي لقد قتل".

---

١ انظر المغني ٢/٣٨٧.

٢ الكشاف ٢/٩٦.

٣ إملاء ما منّ به الرحمن ٢/٢٨٨.

٤ المرجع السابق ٢/٢٨٤.

الفصل الثالث

الدّلالات البلاغيّة للقسم

أهم جوانب الدّلالة التي تعرض في دراسة أسلوب القسم في التنزيل هي ما يلي:

١- أسباب ورود القسم، ومكنوناته الدّلالية.

٢- الدّلالة اللفظية لألفاظ القسم "حلف وأقسم وآلى" وجوانب الاتفاق والافتراق بينها.

٣- الدّلالة المعنوية للحذف، والعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وهذه الجوانب سنتناولها بالتفصيل في المباحث التالية:

المبحث الأول: أسباب ورود القسم ومكنوناته الدّلالية:

أولا: أسباب ورووود القسم:

لقد اشتمل الكتاب العزيز على كثير من الأقسام التي تنوّعت وتعدّدت أشكالها وموضوعاتها، حتى بلغت قرابة خمسمائة موضع في التنزيل. وبعض هذه الأقسام جاء في ثنايا السور والآيات، وبعضها الآخر استهلّت به سور كريمة، وقد استرعى العلماء والمفسرين كثرة ورود القسم في التنزيل بأشكاله المتعددة في غير موطن، مما جعلهم يُفسّرون ويعلّلون سبب ورود هذه الأقسام في التنزيل، ومن هذه الأسباب[١]:

١- إقامة الحجّة ومجابهة الإنكار:

فبعض أقسام التنزيل وردت لتقيم الحجة وتؤكّدها بأرقى أساليب التوكيد والتوثيق وأعلاها حتى لا تدع مجالا للشك لدى سامعيها من المخاطبين وأشار القرطبي إلى ذلك بقوله[٢]: "إن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب إذا أراد بعضهم أن يؤكّدَ كلامه أقسم على كلامه ، واللّهُ تعالى أراد أن

---

١ لقد ذكر كاظم الرّاوي كلاما مُطوّلا حول أسباب ورود القسم في التنزيل في كتابه "أساليب القسم في اللغة العربية" ٤٧٢-٤٧٩. وقد أفدنا منه في بعض هذه الأسباب.

٢ الجامع لأحكام القرآن ١/١١٠.

يؤكّد عليهم الحجة". وقال السيوطي[1]: "والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده...، والقرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكّد أمرا".

وقال القلقشندي[2]: "ورد في القرآن الكريم أقسام أقسم الله تعالى بها إقامة للحجة على المخالف بزيادة التأكيد في القسم".

فمن ذلك مجيء القسم في قوله تعالى ردّا على مقولة المشركين التي حكاها المولى – عز وجل – عنهم: ؛ **زَعَمَ الذينَ كَفَرُوا أنْ لنْ يُبْعَثُوا، قُلْ بَلَى وربِّي لتُبعثُنَّ ثُمَّ لتُنبؤُنَّ بما عملتُم وذلك على الله يسير** ؛ (التغابن ٧).

ففي هذا القسم تأكيد البعث والنشور والجزاء، وفيه مجابهة للإنكار بأقوى أساليب التوكيد والتوثيق وهو القسم.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ؛ **ويَستَنبِؤُنَكَ أحَقٌّ هُو قُلْ إي وربّي إنّهُ لَحَقٌّ وما أنتُم بمُعجزين** ؛ (يونس ٥٣).

فهذه الأقسام وغيرها جاءت في التنزيل للرد على المشركين ومجابهة إنكارهم، يقول الفراء[3]: "ولكن القرآن جاء بالرّدّ على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالردّ عليهم في كثير من الكلام".

٢- توجيه السامع إلى الإصغاء:

فمن عادة الناس على مرّ العصور، أنّ المُتكلّم فيهم إذا ابتدأ حديثه بالقسم أنصتوا له؛ لعلمهم أنه سيقول كلاما يستدعي الإنصات له والاهتمام بما يقول، لذلك جاءت بعض أقسام القرآن لتشدّ انتباه المتلقّين، وتَجلب إنصاتهم لسماع هذا التنزيل. وهذا ما نلحظه في مجيء القسم في مطالع السور في الذكر الحكيم، فقد ورد القسم في مطلع اثنتين وعشرين سورة، وذلك ليشدّ انتباه السامعين ويُجلب إنصات المتلقّين لهذا الذكر الحكيم، من ذلك قوله تعالى: ؛ **لا أُقْسِمُ بيوْمِ القيامَة، ولا أُقْسِمُ بالنّفس اللّوّامة، أيحسبُ الإنسان ألّنْ نجمع عظامه، بلى قادرين على أنْ نُسوّي بَنانه** ؛ (القيامة ١-٤).

---

[1] الإتقان في علوم القرآن ٤/٤٦.

[2] صبح الأعشى ١٣/٢٠٠.

[3] معاني القرآن ٣/٢٠٧.

وقوله تعالى: ﴿ والطُّور وكتاب مسطُور في رقّ منشُور والبيت المعمُور، والسّقف المرفُوع، والبحر المسجُور، إنّ عذاب ربّك لواقع، مالهُ منْ دافع ﴾ (الطور ١-٧).

وقوله تعالى: ﴿ والنّجم إذا هوَى، ما ضلّ صاحبُكم وما غوَى، وما ينْطقُ عن الهوَى، إنْ هُو إلاّ وحيٌ يُوحَى ﴾ (النجم ١-٤).

٣- قوة التأثير وشدة الإيقاع على النفس:

لقد كان لهذه الأقسام القرآنية أثر كبير في نفوس المتلقين لها؛ لأنه كلما ازدادت المؤكدات في البيان العربي ازدادت قوة التأثير والإقناع في نفوس المتلقين لهذا البيان، وأعلى مستويات التأكيد هو القسم، لذا كان له أثر كبير ووقع على وجدان السامع له، ومن ذلك ما حكي "عن بعض الأعراب أنه لمّا سمع قوله تعالى: ﴿ وفي السّمَاء رزقُكم، وما توعَدون، فوَربّ السّماء والأرْض إنّهُ لحقٌ مثْلَ ما أنّكمْ تنطقُون ﴾ (الذاريات ٢٢-٢٣)، صاح وقال: من الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين؟، فالها ثلاثا، ثم مات"[1].

٤- الاستدلال على عظمة المولى جلّ وعلا:

فقد جاء القرآن أيضا بأقسام استدلالية تشير إلى عظمة الخالق جلّ وعلا، ولفت الأنظار إلى بديع صنعه، وعظيم قدرته في الخلق، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ والشّمْس وضُحاها، والقمر إذا تلاها، والنّهار إذا جلاّها، واللّيْل إذا يغْشاها، والسّماء وما بناها، والأرْض وما طحاها، ونفْس وما سوّاها، فألْهمها فجُورها وتقْواها، قدْ أفْلح منْ زكّاها ﴾ (الشمس ١-٩).

وقوله تعالى: ﴿ فلا أُقْسمُ بمواقع النُّجُوم، وإنّهُ لقسمٌ لوْ تعْلمُون عظيمٌ، إنّهُ لقُرْآن كريمٌ ﴾ (الواقعة ٧٥-٧٧).

فالمولى- عزّ وجلّ- قد أقسم بمخلوقاته ومشاهده الكونيّة في واحد وعشرين موضعا في التنزيل، وهذه الأقسام استدلالية، وردت لتدلّل على قدرة الله وعظيم صنعه، فإقسام الله- تعالى- بمخلوقاته هو إقسام بالحسّي على تقرير الغيبي، فالمولى- عز وجل- يُقرّبُ لنا الأمور الغيبيّة بالأشياء الحسيّة؛ لأنها أمور لا جدال

---

[1] البرهان في علوم القرآن ٣/٤٦.

فيها ولا يمكن إنكارها، وهكذا كلّ الأقسام بالمخلوقات هي أقسام استدلالية، لا كما ذهب بعضهم إلى القول بأنها تعظيم وتقديس للمقسم به من هذه المخلوقات[1]، "فليس من المعقول أن يتصوّر إنسان أن الخالق يقدس مخلوقاته التي أقسم بها، وهي كما يؤكد مرارا انها مسخّرة طائعة لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضرّا ولا نفعا، ولا تستطيع من الأمر شيئا"[2]. لا سيّما أنّ هذه الأقسام بالمخلوقات افتتح بها خمس عشرة سورة من سور القرآن، نحو: "والصّافّات، والذّاريات، والسّماء ذات البروج، والسّماء والطّارق"، وفي هذا الموضع لنا أن نطرح التساؤل الذي تساءلته بنت الشاطىء في ردّها على رأي من قالوا إن القسم بهذه المخلوقات قصد به التعظيم للمقسم به، فقالت[3]: "فإذا كان القصد إلى إعظامها، فما وجه إيثارها بهذا الاستهلال وليس في القرآن كلّه سورة مفتتحة بالواو مع اسم من أسماء الله الحسنى، وأين من عظمته- تعالى- عظمة مخلوقاته؟ ولا مجال لأن نقيس بعظمة الله، عظمة التين والزيتون والعاديات ضبحا، والنجم إذا هوى....".

وتستمر في إيضاح مقولتها[4]: "فالبيان القرآني في قسمه بالفجر وبالصّبح إذا أسفر وإذا تنفس، وبالشمس وضحاها، والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى- إنما يجلو معاني من الهدى والحق أو الضلال والباطل بماديّات من النور والظلمة في مختلف درجاتهما، وهذا البيان المعنوي بالحسّي هو مدار استعمال البيان القرآني للظلمات والنور- بمعنى الضّلال والهدى".

وقد أشار إلى هذا الرأي قديما القلقشندي بقوله[5]: "ما أقسم الله- تعالى- فيه بشيء من مخلوقاته ومصنوعاته، والمقصود منه مع التأكيد التنبيه على عظيم قدرته وجلالة عظمته، من حيث إبداعها تعظيما له لا لها".

---

[1] انظر هذه المقولة مفصّلة والرد عليها في كتاب "الإمعان في أقسام القرآن"، لعبد الحميد الفراهي، ص: ٢٧-٧٠.

[2] المشاهد في القرآن، د. حامد قنيبي ٤٤٢.

[3] الإعجاز البياني ٢٤٦.

[4] الإعجاز البياني ٢٤٨.

[5] صبح الأعشى ١٣/٢٠١.

ونخلص مما سبق إلى القول إنّ هذه الأقسام بالمخلوقات هي أقسام استدلالية، تدل على عظمة الخالق وبديع صنعه وقدرته في التدبير والخلق، وتُدلّل أيضاً بالأمور الحسيّة الواضحة المشاهدة للعيان على الأمورّ الغيبية الخافية عن الأذهان.

٥- تنوع الأساليب:

ففي مجيء القسم في الذكر الحكيم في مواضع متفرّقة مُتعدّدة، تنوّع للأساليب، وفي تنوّع الأساليب وتصريف الآيات إيقاظ للقلوب وإذكاء للمشاعر؛ لأن النفس تمل مجيء الكلام على وتيرة واحدة، لذلك تعدّدت طرق الكلام وتنوّعت الأساليب في الخطاب القراني، حيث تنوّعت الأساليب من توكيد إلى تعجّب إلى استفهام إلى قسم...، وإلى ذلك أشار التنزيل العزيز: ؛ **وكذلك أنزلناهُ حُكْماً عربيّاً وصرّفنا فيه منّ الوعيد لعلّهُم يتّقون أوْ يُحدثُ لهُم ذكْرا** ؛ (طه ١١٣).

وقال تعالى: ؛ **ولقدْ ضربْنا للنّاس في هذا القُرآن منْ كُلّ مثل لعلّهُم يتذكّرُون** ؛ (الزّمر ٢٧).

٦- لفت النظر إلى مواضع العبرة في هذه الأشياء المقسم بها:

يقول الشيخ عبد القادر المغربي[١]: "وأقسم الله تعالى ببعض مخلوقاته؛ لتنبيه الأنام إلى ما في خلقها من جميل الصُنع وبديع الأحكام".

ثانيا: المكنونات الدلالية للقسم:

لقد أشار علماء البلاغة إلى خروج الخبر والاستفهام والأمر والنهي عن معانيها الأولى في أصل اللغة إلى معان بلاغية نصّوا عليها في كتب البلاغة، لكنهم لم يشيروا إلى خروج القسم عن معناه الأول وهو التوكيد إلى مكنونات دلالية أخرى، ويرى الباحث أن أسلوب القسم في التنزيل قد خرج إلى معان دلالية غير التوكيد، أو بعبارة أخرى فقد جاء مؤكّدا لمعان دلالية مختلفة ومتعدّدة، ومن هذه المكنونات الدّلالية[٢]:

---

١ انظر: تفسير جزء تبارك للمغربي ص ٩٩، نقلا من أساليب القسم في العربية للراوي، ص: ٤٧٦.

٢ لقد ذكر د. محمد عرفة مسألة المكنونات الدلالية لجملة الشرط، في كتابه القيّم "الشرط والاستفهام في الأساليب العربية" ٧٢-٨٥ وأفدت من بعضها هنالك في هذا الموضع لوجود الشبه بين الموضعين.

١- التزيين والإغراء:

من ذلك قوله تعالى: ؛ **مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ؛ (النحل ٩٧).

فقد قصد المولى- عز وجل- بهذا القسم تزيين العمل الصالح للناس، وذلك بإغرائهم بالنتيجة التي هي الحياة الطيّبة في هذه الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، وأكّد هذه النتيجة بالقسم بقوله: "فلنُحيينّه" و"لنَجْزِيَنّهم".

ونلحظ في هذه الآية مجيء القسم على الحياة الطيّبة وقد اتصل الفعل المضارع المؤكد فيها "فلنحيينّه" بضمير المفرد الغائب، في حين جاء القسم على الجزاء وقد اتصل الفعل المضارع المؤكد فيها "لنَجْزِيَنّهم" بضمير الجمع الغائب، ويرى الباحث أنّ ذلك قد جاء لسرٍ بيانيٍ، فقد يكون المراد من ذلك- والله أعلم- أنّ لكل زمان ومكان حياته الطيبة الملائمة له، وكذلك لكل شخص حياته الطيبة التي تلائمه، ويختلف ذلك من شخص لآخر، فأفردها بالضمير مزيدا في التخصيص، في حين يتفق الجزاء للجميع زمانا ومكانا، وذلك أن الجزاء يكون يوم الجزاء، والمكان هو الجنة بإذنه- جل وعلا- وإن اختلفت درجاتهم وتفاوتت منازلهم فيها، هذا فضلا على أنّ في توكيد الحياة الطيبة مفردة في الضمير، ومُشبعة بنون التوكيد الثقيلة، فيه اشباع معنوي خفيّ، واضفاء ربانيّ عظيم على هذا المخلوق، فينشرح بذلك صدره، وتتشبّع بذلك روحه؛ لأن النفس جُبلت على الحرص على الحياة الطيبة، وإن كانت ترجو الجزاء الحسن منه جلّ وعلا ، فزادها الإفراد خصوصية على خصوصية.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ؛ **لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضا حَسَنا لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ؛ (المائدة ١٢).

وقوله تعالى: ؛ **وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ؛ (آل عمران ١٥٧).

٢- التهديد والوعيد:

من ذلك قوله تعالى: ؛ **وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ** ؛ (يوسف ٣٢).

فالمقصود من هذا القسم هو توكيد التهديد والوعيد بالسجن والصّغار.

ومثله أيضا قوله تعالى: ؛ فوربّك لنحشرنّهم والشّياطين ثمّ لنحضرنّهم حول جهنّم جثيّا ثمّ لننزعنّ من كلّ شيعة أيّهم أشدّ على الرّحمن عتيّا ؛ (مريم ٦٨-٦٩). وقوله تعالى: ؛ وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ الّذين كفروا منهم عذابٌ أليم؛ (المائدة ٧٣). وقوله تعالى: ؛ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد ؛ (إبراهيم ٧).

٣- التحذير:

من ذلك قوله تعالى: ؛ ولقد علمتم الّذين اعتدوا منكم في السّبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ؛ (البقرة ٦٥). قوله تعالى:؛ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ؛ (الأحقاف ٢٧).

فيلحظ أن مجيء القسم المضمر في هذا السّياق فيه تحذير خفي للكفّار من أهل مكة ومن جاء بعدهم، بأنّهم إذا لم يرتدعوا ويزدجروا عمّا هم فيه من الغي والتكذيب، فإنّه سيحلّ بهم من العذاب ما حلّ بالأمم من قبلهم.

ومنه أيضا قوله تعالى: ؛ وقال الّذين كفروا من قومه لئن اتّبعتم شعيبا إنّكم إذا لخاسرون ؛ (الأعراف ٩٠).

٤- التّحدّي:

من ذلك قوله تعالى: ؛ لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ؛ (الإسراء ٨٨).

فقد قصد بهذا القسم تأكيد التحدّي.

٥- الإقرار:

قال تعالى: ؛ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون ؛ (الزخرف ٨٧).

وقوله تعالى: ؛ ولئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله ؛ (لقمان ٢٥).

وقوله تعالى: ؛ ولئن سألتهم من نزّل من السّماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ الله ؛ (العنكبوت ٦٣).

ففي هذه الأقسام تأكيد إقرارهم، وفيه استنكار ضمني لهم، فما داموا يُقرّون له بالربوبية في الخلق فلم لا يخصّونه بالعبودية وحده؟.

٦- المواساة:

من ذلك قوله تعالى: ؛ **ولقدْ استُهْزئ برُسُل من قبْلك** ؛ (الرعد ٣٢).

وقوله تعالى: ؛ **ولقد كُذّبتْ رُسُلٌ منْ قبْلك** ؛ (الانعام ٣٤).

فمجيء القسم في هذا السّياق ليس تأكيدا للاستهزاء والتكذيب الذي حاق بالرُسل من قبل قومهم، فذلك أمر لا يحتاج إلى تأكيد، وإنما قصد بهذا القسم المواساة للرسول- صلى الله عليه وسلم- أنّه قد حلّ بالرسل من قبلك مثلما حلّ بك، فلست بدعا منهم.

٧- التقريع:

من ذلك قوله تعالى: ؛ **ولقد جئتُمونا فُرادي كما خلقْناكُم أوّل مرّة وتركْتُم ما خوّلْناكُم وراء ظُهُوركُم، وما نرى معكُم شُفعاءكُم الّذين زعمْتُم أنّهُم فيكُم شُركاء، لقدْ تقطّع بيْنكُم وضلّ عنْكُم ما كُنْتُم تزْعُمون** ؛ (الأنعام ٩٤).

فيلحظ من هذا السّياق أن القسم جاء من المولى- عزّ وجل- على سبيل التقريع والتوبيخ للمجرمين والكفّار. لأنّ في مجيء الكلام مؤكّدا بالقسم في هذا الموقف وقعا كبيرا على نفوس المتلقّين فيزيدهم توبيخا وتبكيتا على ما هم فيه من هم وغم، وأُتي بالقسم على سبيل التقريع. لأنّه لو قصد بالقسم في هذا الموضع التوكيد فحسب فما الحاجة في السّياق إلى التوكيد وقد تحقق ما وُعدوا به عيانا، والتوكيد يكون للمختلف والمشكوك فيه من قبل المعاند الجاحد، أما وقد رأوا العذاب رأي العين ، فأزعم أن هذا القسم قد أُخرج مخرج التقريع والتوبيخ وقصد به ذلك فحسب.

ومنه أيضا قوله تعالى: ؛ **ولئنْ أذقْنا الإنْسانَ منّا رحمة ثُمّ نزعناها منْهُ إنّهُ ليئُوسٌ كفُورٌ، ولئنْ أذقْناهُ نعْماء بعْد ضرّاء مسّتْهُ ليقُولنّ ذهبَ السّيّئاتُ عنّي إنّهُ لفرحٌ فخُورٌ** ؛ (هود ٩-١٠).

٨- النّفي:

من ذلك قوله تعالى: ؛ **لئنْ أكلهُ الذّئبُ ونحنْ عصبــةً إنّــا إذا لخاســرون** ؛ (يوسف ١٤).

فإخوة يوسف لم يقصدوا بهذا القسم المضمر تأكيد خسارتهم حالة أكل الذئب أخاهم، بل قصدوا به تأكيد النفي، فقد نفوا نفيا مؤكّدا أن يأكله الذئب وأكّــدوا ذلــك بالقسم، فكأنّهم أرادوا القول: والله لن يأكله الذئب ما دمنا عصبة.

٩- الامتنان:

من ذلك قوله تعالى: ؛ **ولقدْ مكّنّاكُم في الأرْض وجعلْنا لكُم فيهــا معــايش** ؛ (الأعراف ١٠).

وقوله تعالى: ؛ **ولقدْ خلقْناكُم ثُمّ صوّرناكُم** ؛ (الأعراف ١١).

وقوله تعالى: ؛ **ولقد كرّمْنا بني آدم وحملْناهُم في البرّ والبحْر ورزقْناهُم منَ الطّيّبات وفضّلناهُم على كثير ممّن خلقْنا تفْضيلا** ؛ (الإسراء ٧٠).

فهذه الأقسام المضمرة لم تأت لتؤكّد الخلق والتصوير والتكريم، فهذه أمــور مشاهدة للعيان ولا يختلف فيها اثنان، بل جاءت لتؤكد الفضل للــه- عــزّ وجــل- والامتنان.

١٠- الوعد:

من ذلك قوله تعالى: ؛ **ولنُسْكننّكُمُ الأرْضَ من بعْدهم** ؛ (إبراهيم ١٤).

وقد جاء هذا القسم في هذا السّياق توكيــدا لوعــد اللــه رســله بــالتمكين والاستخلاف في الأرض، وجاء هذا القسم ردا على توعّد الكافرين رسل الله، فقال تعالى: ؛ **وقالَ الّذين كفرُوا لرُسُلهم لنُخْرجنّكُم منْ أرْضنا أوْ لتعُــودنّ فــي ملّتنــا، فــأوْحى إليْهــم ربّهُــم لنُهْلكــنّ الظّــالمين، ولنُسْــكننّكُمُ الأرْض مــنْ بعْدهــم** ؛ (إبراهيم ١٣-١٤). فكان أن قابل المولى- عز وجل- قسمهم بقسمه، ووعيدهــم بوعيده، ووعد لرسله بالتمكين في الأرض.

المبحث الثاني: الدّلالة اللّفظيّة:

نقصد بالدّلالة اللفظية في هذا المبحث دلالة كلّ من الألفاظ "حلف" و"أقسم" و"الى" التي استعملت في القسم القرآني، فهل استعمل التنزيل هذه الألفاظ بمعنى واحد، أم أن لكل واحدة من هذه الألفاظ معنى خاصا بها، تتميز به عن غيرها؟، وهل وافق هذا الاستعمال القرآني ما ورد في معاجم اللغة وما استعملته العرب في كلامها؟ أم كان للاستعمال القرآني خصوصية في الاستعمال؟، فأمّا "حلف" فتذكر المعاجم اللّغوية أن "حلف" و"أقسم" بمعنى واحد، وانهما لفظان مترادفان يؤدّيان معنى واحدا من غير فرق أو تمييز بينهما، وقلّما تُفرّق بينهما المعاجم، فها هو ذا ابن منظور يُفسّر الحلف بالقسم على ترادف بينهما فيقول[1]: "الحلْفُ والحلَفُ: القسم لغتان، حلف أي: أقسم، يحلِف حلْفا وحلِفا ومحلوفا".

وقال الفيروز أبادي[2]: "أحلَفُ محلوفة، أي: قسما".

ويرى الراغب الأصفهاني أن الحلف يُعبّر به عن كل يمين، فيقول[3]: "الحَلَفُ أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثم عُبّر به عن كل يمين".

ونلحظ من الأقوال السابقة لعلماء المعاجم في تفسيرهم لفظة "حلف"، أنهم قد ذهبوا إلى ترادف معناها بمعنى "أقسم". ولعلّ الذي دعاهم إلى القول بذلك هو ورود كثير من شواهد الشعر الجاهلي أتت فيها لفظة "حلف" بمعنى "أقسم"، من ذلك قول النابغة الذبياني[4]:

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسك ريبَة وهلْ يأثمنْ ذُو أُمّة وهو طائعُ

فالنابغة في هذا البيت[5] يخاطب الملك النعمان معتذرا إليه ومؤكّدا ذلك بالحلف لينفي عن نفسه مقولة نسبت إليه كذبا، فهو في هذا المقام حريص على أن يصدق في يمينه، مما يشير ذلك إلى أن "حلف" في هذا الموضع أتت بمعنى "أقسم".

---

1 لسان العرب مادة "حلف".

2 القاموس المحيط مادة "حلف".

3 المفردات في غريب القرآن مادة (حلف).

4 ديوان النابغة ١٦١.

5 انظر مناسبة هذه القصيدة وما قيل عنها في ديوان النابغة ١٦١.

ومن ذلك قول الأعشى ميمون بن قيس، يهجو عمير بن عبدان فيقول[1]:

حلفتُ بربّ الرّاقصات إلى منى إذا مخرم جاوزنه بعد مخرم
ضوامرَ خوصا قد أضرّ بها السُّرى وطابقْن مشيا في السّريج المحدّم
لئنْ كُنْت في جبّ ثمانين قامة ورُقّيت أسباب السّماء بسُلّم
ليستدْرجنك القولُ حتّى تهرّه وتعلم أني عنك لستُ بمُلْجم

فالأعشى في هذه الأبيات يقسم برب الإبل الضوامر الهزيلات وهنّ يجتزن جيلا بعد جيل، مخاطبا خصمه، لئن اختفى خصمه في بئر ثمانين قامة أو طار في السماء ليصلنّ هجاؤه ويدركه أينما كان، وليس الشاعر عنه بعاجز عن هجائه. ويبدو من هذه الأبيات أنّ الأعشى كان حريصا وهو في مقام التحدّي والهجاء لخصمه أن يؤكد كلامه بالقسم، فحلف برب الإبل، مما يشير ذلك إلى أن "حلف" في هذا الموضع قد جاءت في سياق توكيد اليمين الصادقة التي يحرص صاحبها على أن يصدق فيها، فجاءت "حلف" في هذا السياق بمعنى "أقسم" في دلالة التوكيد.

وبعد هذا الاستعراض لبعض نصوص الشعرا لجاهلي وآراء علماء المعاجم يجدر بنا أن نعود إلى نصوص التنزيل، لنستقرئها حتى نصل إلى نتيجة تجيب على تساؤل مفاده: هل استعمل التنزيل الفعل "حلف" بمعنى "أقْسم" فدلالتهما واحدة، كما هو الحال في الشعر الجاهلي وما ذهب إليه علماء المعاجم، أم أن الأمر يختلف تماما وأن لكل منها دلالة أخرى؟

ما نجده في التنزيل هو أن مادة "حلف" قد وردت في ثلاثة عشر موضعا كلها جاءت بغير استثناء في الحنث باليمين، وجميع هذه المواضع جاءت في آيات مدنية عدا آية واحدة مكية هي قوله تعالى: ؛ **ولا تُطعْ كُلّ حلاّف مهين** ؛ (القلم ١٠).

وكل هذه المواضع جاءت في سياق الحديث عن المنافقين عدا قوله تعالى: ؛ **ذلك كفّارة أيْمانكُم إذا حلفْتُم واحفظوا أيْمانكُم** ؛ (المائدة ٨٩).

فهذا هو الموضع الوحيد الذي جاء خطابا للمؤمنين، وهو في الوقت نفسه حديث عن كفارة اليمين والحنث فيها، وفيه دعوة للمؤمنين إلى تكفير أيْمانهم التي قد حنثوا فيها، وكنّى النص القرآني عن الحنث بـ"الحلْف" فقال: "إذا حلفْتُم" ولم يقل "إذا

---

[1] ديوان الأعشى، ت تحم ـــ ـــين، ١٧١.

أقسمتم" مثلا، وفي ذلك إشارة إلى ارتباط الحلف بالحنث، ويرى بعضهم أن هناك تقديرا بالحذف في النص القرآني تأويله: ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم فحنثتم. وإلى ذلك أشار الزمخشري فقال[1]: "والمعنى "إذا حلفتم" وحنثتم، فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف". ونزيد عليه بأن النص القرآني ترك ذكر الحنث في هذا الموضع اكتفاء بذكر "الحلف" لدلالة الحلف على الحنث ، فكأنه قال: ذلك كفارة أيمانكم إذا حنثتم، فكنّى عن الحنث بالحلف لدلالة كل منهما على الآخر . وأما بقية المواضع التي ذكر فيها الحلف فكانت في سياق الحديث عن المنافقين- كما ذكرنا- وإبراز كذبهم وحنثهم ومحاولة خداعهم المؤمنين والرسول- صلى الله عليه وسلم- بحلفهم الكاذب، لا سيّما أن ستة من هذه المواضع وردت في سورة التوبة التي هي السورة الفاضحة لزيف المنافقين والكاشفة لحقيقتهم، وهذه الآيات هي:

١- قوله تعالى: ؛ **وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون** ؛ (التوبة ٤٢).

فهم يحلفون أنهم لا يستطيعون الخروج مع المسلمين للجهاد، وهم بهذا الحلف الكاذب يهلكون أنفسهم، وقد فضح الله نواياهم الكاذبة فقال: ؛ **والله يعلم إنهم لكاذبون** ؛، كما أن في ذلك إشارة خفية أيضا إلى أن من تحلفون به كذبا قد علم كذبكم وحنثكم.

٢- قوله تعالى: ؛ **ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم** ؛ (التوبة ٥٦).

ففي الآية الأولى كان تكذيب المولى - عز وجل - إيّاهم صريحا بقوله: ؛**إنهم لكاذبون**؛، وفي هذا الموضع جاء تكذيبه لمقولتهم ضمنيا بقوله: ؛**وما هم منكم**؛، وفي هذا تكذيب لمقولتهم وإشارة إلى حنثهم في حلفهم.

٣- قوله تعالى: ؛ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين** ؛ (التوبة ٦٢).

٤- قوله تعالى: ؛ **يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ؛ (التوبة ٧٤).

---

[1] الكشاف ١/٦٤١.

وتدل لفظة "يحلفون" في هذا الموضع على تعمّدهم الكذب والحنث، وإن كانوا يظهرون غير ذلك إلاّ أنهم في حقيقة الأمر وواقع الحال قد كذبوا وحنثوا، بدليل تكذيب التنزيل لهم بقوله: ﴿ ولَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفر ﴾.

٥- قوله تعالى: ﴿ سيحْلِفُون بالله لكُم إذا انقلبْتُم إليْهم لتُعْرضُوا عنْهُم فأعْرضُوا عنْهُم إنّهُمْ رجْسٌ ﴾ (التوبة ٩٥).

وقد علّل المولى- عزّ وجل- بقوله: ﴿إنّهُم رجْسٌ﴾ حتى لا يتوهّم متوهّم أن أمر الله للمؤمنين بالإعراض عن المنافقين حالة حلفهم كان إبرارا لحلفهم وأنّها حلوفات صادقة، فأتى التعليل بعد الأمر "إنهم رجس" فيكون تكذيبا ضمنيا لحلفهم، وتوضيحا وتأكيدا للمؤمنين حتى يعرضوا عنهم ويتركوا معاتبتهم، فإنّ من كان هذا حاله فلا ينفعه العتاب ولا يجدي معه النصح.

٦- قوله تعالى: ﴿ يحْلفُون لكُم لترْضوْا عنْهُم فإنْ ترْضوْا عنْهُم فإنّ اللّه لا يرْضى عن القوْم الفاسقين ﴾ (التوبة ٩٦).

٧- وقوله تعالى: ﴿ ولَيحْلفُنّ إنْ أرَدْنا إلاّ الحُسْنى، واللّهُ يشْهدُ إنّهُم لكاذبُون ﴾ (التوبة ١٠٧).

٨- قوله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهُم تعالوْا إلى ما أنْزل اللّهُ وإلى الرّسُول رأيْت المنافقين يصدّون عنْك صدُودا، فكيْف إذا أصابتْهُم مصيبةٌ بما قدّمتْ أيْديهم ثُمّ جاؤك يحْلفُون بالله إنْ أرَدْنا إلاّ إحْسانا وتوْفيقا، أُولئك الّذين يعْلمُ اللّهُ ما في قُلُوبهم فأعْرضْ عنْهُم وعظْهُم وقُلْ لهُم في أنْفُسهم قوْلا بليغا ﴾ (النساء ٦١-٦٣).

٩- قوله تعالى: ﴿ ألمْ تر إلى الّذين تولّوْا قوْما غضب اللّهُ عليْهم ما هُم منْكُم ولا منْهُم ويحْلفُون على الكذب وهُمْ يعْلمُون ﴾ (المجادلة ١٤).

١٠- قوله تعالى: ﴿ يوْم يبْعثُهُم اللّهُ جميعا فيحْلفُون لهُ كما يحْلفُون لكُمْ ويحْسبُون أنّهُم على شيْء ألا إنّهُم هُمُ الكاذبُون ﴾ (المجادلة ١٨).

فكلّ الآيات التي سبق ذكرها جاءت في سياق الحديث عن المنافقين، وأُسند الفعل "حلف" في جميع تلك المواضع إلى المنافقين، وجميع تلك المواضع جاءت في السور المدنية- النساء والتوبة والمجادلة- ففي هذه المرحلة برزت ظاهرة النفاق، وتصدّر التنزيل للحديث عنها وفضح زيفها، عدا موضعا واحدا أتى في سورة مكية

وهو قوله تعالى: ؛ ولا تُطعْ كُلّ حلاّف مهين همّاز مشّـــاء بنميـم منّـاع للخـيْر معْتد أثيم ؛ (القلم ١٠-١٢).

وفي هذا الموضع إشارة واضحة أيضا إلى أن "حلف" تعني الحنث في اليمين والكذب فيها، فإن المولى- عز وجل- قد ذم في هذا السياق من كان كثير الحلـــف حتى اتُّصف بـــ "حلاّف" ونعته بقوله "مهين" أي: حقير، مما يؤكد أن لفظة "حلاّف" هي صفة ذميمة لمن اتّصف بها، وفي ذلك دلالة على أنها تعني الكذب والحنـــث ، فكأنه قال: "كذّاب" وكثير الحنث في يمينه، وإلاّ فما الذّم في ذلك إن كـــان "الحلـف" يعني "القسم" الذي هو تأكيد لمضمون الكلام على وجه الصحة والصدق في اليمين؟

ومما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه أيضا من أن "الحلف" في التـــنزيل يـــراد بـــه الحنث في اليمين، وأنه قصد به اليمين الكاذبة ، هو مجيء إشارات وعبارات فـــي بعض كتب المعاجم، تنقل لنا هذه المعاجم الاستعمال اللغوي لهذه اللفظة عند العرب في بعض الأحيان، مشيرة إلى أن "حلف" تتضمن معنى الاحتمال والشـــك والـــتردّد والظن، من ذلك ما يذكره الفيروز أبادي وينص عليه بقوله[١]: "وكلّ ما يُشـــكّ فيـــه فيُتحالفُ عليه فهو: مُحْلفٌ ومنه كُميْتٌ مُحْلفٌ: غير خالص اللّون". والعرب تقول[٢] : "حلف حلْفَة فاجر، وأحْلوفةٌ كاذبة".

ومن ذلك قول امرئ القيس[٣]:

حلفْتُ لها بالله حلْفَة فاجر لنامُوا فما إنْ منْ حديث ولا صال

ولم يرد مثل هذا مع القسم-

ويقولون[٤]: "هذا شيء مُحْلفٌ ومُحْنثٌ: للذي يُخْتلفُ فيه فيُحْتلفُ عليه".

ويقال[٥]: "ناقه مُحْلفةُ السّنام: مشكوك في سمنها، لا يُدرى أفي سنامها شَـــحْمٌ أم لا؟".

---

١ القاموس المحيط مادة "حلف".

٢ اللسان مادة " حلف "

٣ ديوان امرئ القيس ٣٢.

٤ الأساس في البلاغة للزمخشري مادة "حلف".

٥ اللسان مادة "حلف".

ويقال[1]: "كُميتٌ مُحْلِفةٌ وفرسٌ مُحْلِفٌ ومُحْلِفةٌ، وهو الكميتُ الأحمُ والأحوى لأنهما متدانيان، حتى يَشُكَّ فيهما البصيران، فيحْلِفُ هذا أنّه كُميتٌ أحوى، ويحلِف هذا أنّه كميتٌ أحمُ".

"والمحْلِفُ من الغلمان المشكوك في احتلامه"[2] فيقال[3]: "أحْلَفَ الغُلامُ" إذا جاوز رُهاق الحُلُم، فيُشكُّ في بلوغه".

كما تسمى العرب نجمي- حُضار والوزنُ مُحْلِفين "وذلك أنّهما نجمان يطلعان قبل سهيل، فيحلف الواحد أنه سهيل ، ويحلف الآخر أنه ليس هو، فيقع الحنث من أحدهما"[4].

وكذلك "كل شيء يختلفُ فيه الناس ولا يقفون منه على أمر صحيح فهو محلف، والعرب تقول للشيء المختلف فيه: مُحْلِفٌ ومُحْنِثٌ"[5].

وجاء في الحديث[6]: "الحلفُ منفقة للسلعة ممحقة للبركة"، قال ابن حجر: "الحلفُ- بفتح المهملة وكسر اللام- أي: اليمين الكاذبة".

ومما سبق ذكره يتضح أن الحلف يدور حول الشك والتردّد، ويتضمن معنى الظن والحنث غالبا. وعليه فالحالف كثيرا ما يكون معرّضا للحنث في يمينه ، لأنه يحلف على الظن والوهم، وهو في التنزيل أكثر دلالة على ذلك كما أوضحناه سابقا.

أما القسم فتفسره المعاجم اللغوية بالحلف دون أن تذكر فرقا بينهما، قال ابن منظور[7]: "القسمُ بالتحريك: اليمين وكذلك المقسم وهو المصدر مثل المُخْرَج، والجمع أقسام، وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه: حلف له، وتقاسم القوم: تحالفوا".

---

1 اللسان مادة "حلف".

2 اللسان مادة "حلف".

3 الأساس في اللاغة "حلف".

4 اللسان مادة "حلف".

5 فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣١٥.

6 اللسان مادة "قسم".

وقال الراغب الأصفهاني[1]: "وأقسم: حلف، وأصله من القسامة وهي أيمان تُقسم على أولياء المقتول ثم صار اسما لكلّ حلف".

وقد فرّق أبو هلال العسكري بين الحلف والقسم فقال[2]: "القسم أبلغ من الحلْف؛ لأن معنى قولنا: أقسم بالله أنّه صار ذا قسم بالله، والقسم: النصيب، والمراد أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله، والحلف من قولك: سيف حليف أي: قاطع ماض، فإذا قلت: حلف بالله فكأنّك قلت: قطع المخاصمة بالله، فالأول أبلغ؛ لأنه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم، ففيه معنيان، وقولنا حلف يفيد معنى واحدا، وهو قطع المخاصمة فقط".

ونلحظ من هذا القول لأبي هلال أن "القسم" أبلغ توكيدا ودلالة من "الحلف". ويشير الفيروز أبادي هو الآخر إلى خصوصية يختص بها القسم عن غيره ، وهو أنه يراد به الظن القوي الذي يصل إلى درجة الحقيقة ، وينص الفيروز على ذلك بقوله[3]: "والقسم العطاء والرأي ، ... وأن يقع في قلبك الشيء فتظنه، ثم يقوى ذلك الظنّ فيصير حقيقة".

ويُلحظ من هذا القول للفيروز آبادي أن القسم اقرب إلى الحقيقة والصّدق من غيره، وهو أبعد ما يكون عن الشك والاحتمال والظن كما هو الحال في الحلف.

فالقسم بهذا المعنى يدل على الحقيقة البيّنة الواضحة والأيمان الصادقة، وهذا ما تؤيّده شواهد التنزيل، حيث ورد استعمال "القسم" في الذكر الحكيم في موضع الأيمان الصّادقة وتوكيدها وتوثيقها، وغالبا ما يكون صادرا من المولى- عزّ وجل- ومن ذلك قوله تعالى: ؛ **فلا أُقسمُ برب المشارق والمغارب إنّا لقادرُون** ؛ (المعارج ٤٠).

وقوله تعالى: ؛ **فلا أُقسمُ بما تُبصرُون وما لا تُبصرُون، إنّهُ لقولُ رسُول كريم** ؛ (الحاقة ٣٨-٤٠).

---

١ المفردات في غريب القرآن مادة "قسم".

٢ الفروق في اللغة ٤٧.

٣ القاموس المحيط مادة "قسم".

وقد وصف القسم بالعظمة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وإنّهُ لقسمٌ لـــوْ تعْلمُـــون عظِيم ﴾ (الواقعة ٧٦).

وجاء القسم على لسان المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ فيُقْسمانِ باللّه إنِ ارْتبْتُم لا نشْتري بِهِ ثمنًا ولَوْ كانَ ذا قُربَى ولا نكْتُمُ شهادَةَ اللـــهِ إنّـــا إذًا لمـــنَ الآثمِيـــن ﴾ (المائدة ١٠٦).

وقوله تعالى: ﴿ فيُقْسمَانِ باللهِ لشهادَتُنا أحقُ منْ شهادَتِهِما وما اعْتدينا إنّـــا إذا لمِنَ الظالمين ﴾ (المائدة ١٠٧).

وهاتان الآيتان وردتا في سياق الحديث عن الوصية والإشهاد عليهـــا، وهـــو مقام لا يجوز الحنث فيه باليمين.

وفي بعض الآيات أسند القسم إلى بعض المجرمين والكافرين وذلك فيما حكاه التنزيل عنهم مُصوّراً لنا وموضحاً حالة تصميمهم وعزمهم القوي في تحقيق أيمانهم وصدقهم فيها، من ذلك ما حكاه المولى- عزّ وجل- عن أصحاب الجنّة بقوله: ﴿ إنّا بلوْناهُم كما بلوْنا أصْحابَ الجنّةِ إذْ أقْسمُوا ليصْرِمُنّها مُصْبحِيـــن ولا يسْـــتثْنُون ﴾ (القلم ١٧-١٨).

فأصحاب الجنة في قسمهم هذا كانوا جادّين وعازمين وصادقين فـــي تنفيـــذ نيتهم في صرْمِ جنتهم بصرف النظر عن صحة أو بطلان ما أقدموا عليه من عمل.

وقد أشار القرآن الكريم أيضاً إلى الجهد المبذول من قبـــل هـــؤلاء الكفـــار والمشركين عند صدور القسم منهم موضحاً بذلك حالة تصميمهم وإخلاصهـــم فيمـــا يعتقدونه ، وإن كان خلاف الحق، إلاّ أنّه يهيأ لهم أنّه حق؛ لذا فهم يجهدون أنفســـهم ويبالغون في أيمانهم وأقسامهم، فقد ورد ذكر قسمهم باللهِ "جَهْدَ أيمَانِهِمْ" في خمســـة مواضع هي:

قوله تعالى: ﴿ وأقْسمُوا باللهِ جهْدَ أيْمـــانِهِم لئـــنْ جـــاءتْهُم آيـــةٌ ليُؤْمِنُـــنّ بِهـــا ﴾ (الأنعام ١٠٩).

وقوله تعالى: ﴿ وأقْسمُوا باللهِ جهْدَ أيْمانِهِم لا يبْعثُ اللهُ منْ يمُـــوت، بلَـــى وعْداً عليْهِ حقّاً ولكِنّ أكْثرَ النّاسِ لا يعْلمُون ﴾ (النحل ٣٨).

وإن كان حقيقة الأمر والحق غير ما قالوا، إلاّ أن هذا ما يعتقدونه ويجهدون في تأكيده بقسمهم؛ لذا نوّه القرآن إلى معتقدهم هذا مبيّنا ومصوّرا لنا حالة افتتاعهم الشديدة بما يقولون ويعتقدون.

وقوله تعالى: ؛ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون** ؛ (النور ٥٣).

وقوله تعالى: ؛ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا** ؛ (فاطر ٤٢).

وقوله تعالى: ؛ **ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين** ؛ (المائدة ٥٣).

وحكى القرآن عن المجرمين قسمهم يوم القيامة وهم صادقون فيه ، وذلك قوله تعالى: ؛ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ؛ (الروم ٥٥).

ونلحظ من جميع السياقات السابقة أن الكفار كانوا يقسمون ويجتهدون في تأكيد أيمانهم، وذلك انطلاقا من اعتقادهم الجازم بصحة ما يرونه من وجهة نظرهم على الأقل ، وإن كان ذلك خلاف الحقيقة والواقع، ويختلف مقام القسم هنا عن مقام الحلف الصادر عن المنافقين هناك، ذلك أنّ هؤلاء يقسمون وهم يعتقدون صحة ما يقولونه، وقد يكون اعتقادهم ذلك صادرا عن وهم لديهم وذهول عن الحقيقة، وهذا ما يشير إليه التنزيل في قوله تعالى: ؛ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت** ؛ (النحل ٣٨)، ثم عقب على قولهم هذا موضحا الحقيقة خلاف ما يعتقدون فقال: ؛ **بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ؛ (النحل ٣٨).

فهم يعتقدون ما يعتقدونه عن وهم لديهم، في حين أن أولئك المنافقين يحلفون كذبا وهم يعلمون سلفا أن ما يقولونه خلاف الحقيقة والواقع، وأنهم كاذبون حانثون فيما يزعمون، وذلك ما يشير إليه التنزيل بقوله: ؛ **ويحلفون على الكذب وهم يعلمون** ؛ (المجادلة ١٤).

وأما ما حكاه القرآن عن إبليس بقوله: ؛ **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ؛ (الأعراف ٢١).

فإنّه قد أخرج حلف إبليس في هذا المقام مخرج القسم؛ لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقسم المجتهد في يمينه الذي يحاول أن يبعد عن نفسه أيّ شك أو ريب فيما يقول، حتى إنّه غرّر بقسمه هذا أبوينا عليهما السلام فصدّقاه. قال ابن القيّم عن هذه الآية[1]: " وقد أخرج- لعنه الله- الكلام على أنواع متعدّدة من التأكيد: أحدهما: القسم، الثاني: الإتيان بالجملة اسمية لا فعلية، الثالث: تصديرها بأداة التأكيد، الرابع: الإتيان بلام التأكيد في الخبر، الخامس: الإتيان به اسم فاعل لا فعلاً دالا على الحدث، السادس: تقديم المعمول على العامل فيه".

مما سبق ذكره نخلص إلى القول إن ثمّة فرقاً بين دلالتي "حلف" و"أقسم"، كما أوضحناه سابقاً، وقد أشار إلى هذا الفرق أيضاً بعض العلماء المعاصرين[2]، من أولئك العلماء بنت الشاطئ؛ حيث تقول في حديثها عن آيات القسم والحلف[3]: "إنّه لا يهون أبداً أن نُفسّر القسم بالحلف، وصنيع القرآن يلفت إلى فرق دقيق بينهما، فإن لم نقل إن القسم لليمين الصادقة- حقيقة أو وهماً- والحلف لليمين الكاذبة على إطلاقها، فلا أقل من أن يكون بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص، فيكون القسم لمطلق اليمين بعامة، ويختص الحلف بالحنث في اليمين، على ما اطرد استعماله في البيان القرآني".

وأمّا آلى وائتلى، فتذكر المعاجم اللغويّة أنه بمعنى "حَلَفَ" أيضاً، يقول ابن منظور[4]: "والفعل آلى يؤلي إيلاءً: حلَفَ". وهو ما ذهب إليه الفراء أيضا، حيث يسوّي بين "حلف" و"آلى" من حيث الدلالة في المعنى، وينقل عنه ابن منظور قوله[5]: "وقال الفراء: الائتلاء الحَلِف". وقال أبو عبيده[6]: "لا يَأْتَلِ هو من ألوتُ أي: قَصَّرتُ". وإلى هذا المعنى الأخير ذهب الرّاغب الأصفهاني فقال[7]: "حقيقة الإيلاء

---

١ بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيّم، يسري السيّد محمد ٢/٢٠١.

٢ من هؤلاء العلماء المحدثين: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء في كتابها "الإعجاز البياني" ٢٢١-٢٢٤، ود. عودة أبو عودة في كتابه شواهد في الإعجاز القرآني ٢٢٣"؛ وكاظم الرّاوي في كتابه: أساليب القسم في اللغة العربية" ٥٢٠-٥٢٢.

٣ الإعجاز البياني للقرآن ٢٢٤.

(٤، ٥، ٦) اللسان مادة "ألا".

٧ المفردات في غريب القرآن مادة "ألى".

والأليّة: الحلف المقتضي لتقصير في الأمر الذي يُحلَفُ عليه، وجعل الإيـــلاء فـــي الشرع للحلف المانع من جماع المرأة".

وقال عبد الحميد الفراهي[1]: "وأما الأليّة فمعناها: الإقصار عن الأمر، فيقال: "الآلى" للمقصّر العاجز عن الشيء، ثم جاء لترك الشيء، ومنه الإيلاء من النســـاء على وجه القسم".

وما ذكره الرّاغب الأصفهاني والفراهي عن معنى "ألى" وأنّه يعني: الحلـــف المقتضي للتقصير في الشيء الذي يحلف عليه، هو ما نجد معناه في التـــنزيل بيّنـــاً واضحا، فقد ورد هذا اللفظ في موضعين هما: الأول: في قولـــه تعـــالى: ﴿ لِلَّذِيـــنَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ (البقرة ٢٢٦).

فالإيلاء في هذه الآية هو يمين يقتضي التقصير في شيء حلف عليه، وهـــو في هذا الموضع يراد به الامتناع عن إتيان الرجل زوجه، يقول أبو حيـــان[2]: "كـــل يمين منعت جماعاً فهي إيلاء". وهو بهذا المعنى قد تضمّـــن حلفـــا علـــى امتنـــاع وتقصير، إلاّ أن لهذا الاصطلاح خصوصية شرعية.

والثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُـــوا أُولِـــي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ (النور ٢٢).

وهو في هذا الموضع يراد به أيضا اليمين على تقصير، وهو هنا تقصير في العطيّة، ويؤكّد هذا المعنى سبب نزول هذه الآية[3]، حيث قيل إنها نزلت في أبي بكر عندما حلف على أن لا ينفق على مسطح؛ لأنّه كان ممن خاضوا في حديث الإفـــك، فإيلاء أبي بكر هو حلف قصد به التقصير في النفقة والعطاء الـــذي كـــان يعطيـــه مسطح.

قال أبو حيان[4]: "ولا يأتل هو مضارع ائتلى، افتعل من الألية وهي الحلـــف، وقيل معناه: يُقصّر من افتعل ألوتُ: قصّرتُ، ومنه لا يألونكم".

---

١ الإمعان في أقسام القرآن ٤٩.

٢ البحر المحيط. ١٩٢/٢

٣ انظر سبب نزولها في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٨/١٢.

٤ البحر المحيط. ٦/ ٤٠٤.

وهذا المعنى الذي ذكرناه سلفا يشير إلى وجود فرق بين الفعل "حلف" والفعل "آلى"، فلفظة "حلف" ومشتقاتها قصد بها في التنزيل الحنث في اليمين وعدم الوفاء بها. في حين الفعل "آلى" ومنه "الألِيّة" التي تعني الحلف الذي يقتضي تقصيراً في الشيء المحلوف عليه.

ونخلص مما سبق إلى أن كلاً من الألفاظ "حلف" و"أقسم" و"الى" له دلالة خاصة به تميزه عن غيره، لا كما ذكرت معاجم اللغة من أنّ هذه الألفاظ ذات دلالة واحدة وأنّها بمعنى واحد، وإنما لفظة "حلف" يدل سياق مجيئها في التنزيل على أنها تعني الحنث في اليمين، وأن الفعل "أقسم" أريد به الصدق في اليمين وتأكيدها وثبوتها، وأن "الإيلاء" و"الألِيّة" تضمّنا معنى الحلف على التقصير في الشيء.

المبحث الثالث: الدّلالة المعنويّة:

يقصد بالدّلالة المعنويّة الدّلالة التي تفهم من السّياق ، وهي دلالة خفيّة غير ظاهرة. ونلحظها في أسلوب القسم القرآني تتمثل في نوعين هما:-

أ- دلالة الحذف:

قد يحذف المقسم به أو الجواب لدواع تركيبيَّة نحوية، أو دلالية بلاغية، أمّا الدواعي التركيبية النحوية فقد تقدم ذكرها في موضع سابق من هذا البحث، وأمّا الدواعي البلاغية لحذف المقسم به فهذا ما نخصّه بالذكر في هذا المبحث، فمن الدواعي البلاغية لحذف المقسم به:

١- الإيجاز:

وذلك إمّا لكونه قد ذكر سابقاً، وإمّا للعلم به، فممّا حذف لذكر سابق قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُم لِتَرْضَوْا عَنْهُم فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ (التوبة ٩٦).

فقد حذف المقسم به في هذه الآية وهو لفظ الجلالة "الله"، وذلك لدليل سياقي متقدم، فقد ذكر في الآية السابقة لهذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُم إِذَا انْقَلَبْتُم إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُم فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ (التوبة ٩٥). كما أنّه قد

صرّح بذكره أيضا في مواضع سابقة لهذه الآية في السورة نفسها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ (التوبة ٤٢).

وقوله تعالى: ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم﴾ (التوبة ٥٦).

وقوله تعالى: ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ (التوبة ٦٢).

وقوله تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ (التوبة ٧٤).

ومما حذف للعلم به قوله تعالى: ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم﴾ (المائدة ٨٩).

فقد حذف المقسم به في هذا الموضع للعلم به، لأنّ الخطاب موجّه للمؤمنين، ومعلوم لديهم أنّ الحلف لا يكون إلاّ بالله- عزّ وجل- وأن الحلف بغيره لا يجوز؛ لذلك حذف المقسم به للعلم به.

ففي المواضع السابقة جميعها حذف المقسم به لدلالة الإيجاز، والإيجاز من البلاغة؛ لأنه " فضلا عمّا فيه من تخفيف، يكسب العبارة قوة، ويجنبها ثقل الاستطالة وترهّلها"[1].

---

[1] انظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر حمودة، ٩٠.

٢- التركيز على الحدث:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ألمْ تر إلى الّذين تولّوْا قوْما غضب اللهُ عليْهمْ ما هُم منْكُم ولاَ منْهُمْ ويحْلفُون على الكذب وهُمْ يعْلمُون﴾ (المجادلة ١٤).

فقد أراد المولى- جلّ وعلا- في هذا السياق التركيز على حدث الفعل الصادر عن المنافقين وهو "الحلف" بصرف النظر عن المقسم به، فالتركيز في هذا السياق منصرف إلى الفعل "يحلفون"، وذلك ليؤكّد قبح هذا التصرف منهم، بدليل مجيء الآيات اللاحقة لهذه الآية متضمّنة التهديد والوعيد بالعذاب الشديد لهم، فجاء بعد ذلك قوله تعالى: ﴿أعدّ اللهُ لهُمْ عذابا شديدا إنّهُم ساء ما كانُوا يعْملُون، اتّخذُوا أيْمانهُم جُنّة فصدُّوا عنْ سبيل الله فلهُم عذابٌ مُهين، لنْ تُغْني عنْهُم أمْوالُهُم ولا أوْلادُهُم من الله شيْئا أُولئك أصْحابُ النّار هُمْ فيها خالدُون﴾ (المجادلة ١٥-١٧).

ثم أكّد المولى- عزّ وجل- التركيز على هذا الحلف الصادر منهم، مرة أخرى مشيرا في ذلك إلى أن صفة الكذب والحنث متأصّلة فيهم، حتى إنّهم في يوم الجزاء سيحلفون له- عز وجل- أيضا الأيْمان الكاذبة إيغالا منهم في الكذب والنّفاق والحنث في اليمين، فقال: ﴿يوْم يبْعثُهُمُ اللهُ جميعا فيحْلفُون لهُ كما يحْلفُون لكُم ويحْسبُون أنّهُم على شيْء الا إنّهُم هُمُ الكاذبُون﴾ (المجادلة ١٨).

ويزيد ما ذكرناه تأكيدا مجيء السّياقات السابقة جميعها وقد حذف منها جواب القسم أيضا، وذلك لينصبّ التركيز كلّه على الحدث المذكور فحسب.

٣- تجسيد الحالة الوجدانية:

من ذلك قوله تعالى- مصوّرا حالة المجرمين عندما يُبعثون: ﴿ويوْم تقُومُ السّاعةُ يُقْسمُ المُجْرمُون ما لبثُوا غيْر ساعة﴾ (الروم ٥٥).

فقد تلبّس المجرمين في هذا الموقف حالة من الدّهشة المفزعة والمفاجأة المرعبة لحظة انبعاثهم للجزاء، فأقسموا على أنّهم ما لبثوا غير ساعة من زمان، وحُذف المقسم به ، فأوحى حذفه في هذا السياق بحالة التوتر النفسي، والقلق الشديد الذي انتاب المجرمين في تلك اللحظة، والمرء لحظة الدهشة والانفعال النفسي يختصر كثيرا من الكلام.

٤- التركيز على الجواب "المقسم عليه":

من ذلك قوله تعالى: ﴿أولَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِنْ زَوَالٍ﴾ (إبراهيم ٤٤).

وقوله تعالى: ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ﴾ (الأعراف ٤٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾ (القلم ١٧-١٨).

ففي المواضع السابقة حذف المقسم به، وقصد بذلك التركيز على الجواب بصرف النظر عن المقسم به.

وقد يحذف جواب القسم لدواع بلاغية منها:-

١- التأدُّب والإجلال:

وذلك ما يُلحظ من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ، قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ، قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا، قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنعام ٣٠).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا، قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأحقاف ٣٤).

فقد حذفت جملة جواب القسم في الموضعين السابقين في قوله: ﴿بَلَى وَرَبِّنَا﴾ تأدُّبا وإجلالا، وذلك لأن المقام مقام تعنيف وتقريع وتوبيخ من المولى- عزّ وجل- للمشركين الكفّار وهم بين يديه- جل وعلا-، فيردّون باقتضاب محسور فيه من الاستحياء والتأدّب والإجلال الذي يُمازجه النّدم والتحسُّر، مما لم يتح لهم التبسُّط في الكلام أو الاسترسال في الإجابة.

٢- توسيع المعنى وإطلاقه:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (النازعات ١-٦).

وقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ (الفجر ١-٥).

وقوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (ق ١-٢).

وقد اختلف النحاة والمفسّرون في تقدير الجواب في الآيات السابقة، ومن هؤلاء من يرى أنّ الجواب محذوف دلّ عليه السّياق السابق أو اللاّحق، تقديره عند بعضهم "لتبعثنّ"[1].

ويرى الباحث أن الجواب قد حُذف في هذه المواضع لدلالة العموم، وذلك لتوسيع المعنى وإطلاقه لكي يذهب السامع في تقديره كلّ مذهب، ويثير في ذهنه فضولا وتطلّعا لما سيقع عليه القسم من صنوف الجزاء، فحذف الجواب في هذا السّياق أبلغ من إظهاره، يقول ابن الأنباري[2]: "ثم حذف الجواب أبلغ في المعنى من اظهاره، ألا ترى أنّك لو قلت لعبدك: "واللّه لئنْ قُمْتُ إليك" وسكتّ عن الجواب، ذهب فكره إلى أنواع من العقوبة والمكروه من القتل والقطع والضرب والكسر، فإذا تمثّلتْ في فكره أنواع العقوبات وتكاثرت عَظُمتِ الحال في نفسه ولم يعلم أيُّها يتقي فكان أبلغ في ردْعه وزجْره عما يُكره منه، ولو قلت "واللّه لئن قمتُ إليك لأضربنّك"، وأظهرت الجواب لم يذهب فكره إلى نوع من المكروه سوى الضرب، فكان ذلك دون حذف الجواب في نفسه؛ لأنّه قد وطّن له نفسه فيسهُلُ ذلك عليه".

ب- دلالة العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه:

يلحظ من مجيء القسم في السّياق القرآني وجود علاقة تربط بين المقسم به والمقسم عليه، وهذا من أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وسرّ من أسرار القسم في التنزيل وهذا ما نلحظه من قسم المولى- عزّ وجل- ببعض مخلوقاته على أمور يقرّرها ويؤكدها بهذا القسم، فيرد التساؤل المشروع الملفت للانتباه، والمنبّه للتفكير، لماذا أقسم المولى- عزّ وجل- بالعصر- مثلا- على خسارة الإنسان؟

وما العلاقة والارتباط بينهما؟، ولم ورد القسم بالضحى واللّيل إذا سجى على نفي هجر المولى- عزّ وجل- لنبيّه- صلى الله عليه وسلم-؟ ولم ورد القسم بالخيل العادية على كنود الإنسان؟ وهكذا غيرها من الأقسام الاخرى الواردة في التنزيل.

---

[1] انظر: البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري، ٣٨٤/٢، ٤٩٢، ٥١١.

[2] الانصاف مسألة، ٦٤.

وهذه العلاقة قد التفت لها بعض[1] ممن اشتغلوا بإيضاح أسرار البيان في التنزيل، وغفل عن ذكرها الكثير، وهي تدخل في نطاق الاجتهاد في التأويل، ولا تعني بالضرورة أنّ ما قيل فيها هو القول الفصل الأخير، وإنما هي محاولة استكشاف واستيحاء من النّص الكريم؛ لمعرفة أسراره ودلائل إعجازه وروعة بيانه.

وقد توصّل الباحث إلى استكشاف بعض هذه العلاقات بين المقسم به والمقسم عليه منها:

١- علاقة المشابهة:

يقصد بها وجود مشابهة في الصُورة بين المقسم به والمقسم عليه، من ذلك قوله تعالى: **﴿والضُحى، واللّيل إذا سجى، ما ودّعك ربُك وما قلى﴾** (الضحى ١-٣).

في هذه الآية يشير ابن القيّم إلى العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه فيقول[2]: "فتأمّل مطابقة هذا القسم، وهو نور الضُحى الذي يوافى بعد ظلام الليل ، للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودّع محمد ربّه، فأقسم بضوء النّهار بعد ظلمة اللّيل ، على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه".

وتقول بنت الشاطئ[3]: "المقسم به في آيتي الضحى، صورة مادية وواقع حسّي، يشهد به الناس في كل يوم تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجى وسكن، دون أن يختل نظام الكون أو يكون في توارد الحالين عليه ما يبعث على إنكار، بل دون أن يخطر على بال أحد، أن السماء قد تخلّت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة، بعد تألّق الضوء في ضحى النّهار، فأي عجب في أن يجيء بعد أُنس الوحى وتجلّي نوره على المصطفى- صلى الله عليه وسلم- فترة سكون يفتر فيها الوحي، على ما نشهد من اللّيل السّاجي يوافي بعد الضُحى المتألّق".

ومنه قوله تعالى: **﴿ والعاديات ضبْحا فالمُوريات قدْحا فالمُغيرات صبْحا فأثرْن به نقْعا، فوسطْن به جمْعا إنّ الإنسان لربّه لكنُود ﴾** (العاديات ١-٦).

---

[1] ممن ذكر ذلك: ابن القيم في: "البيان في أقسام القرآن"، ود. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ في: "الإعجاز البياني في القرآن"، وكاظم الزاوي في: "أساليب القسم - القسم في اللغة العربية".

[2] البيان في أقسام القرآن ٨٤.

[3] التفسير البياني ٢٦/١.

فقد أقسم المولى- عز وجل- في هذا الموضع بالخيل حالة اندفاعها في القتال وسرعتها وكرّها وفرّها وجموحها الشّرس القوي على كنود الإنسان وجحوده آلاء الله عز وجل، والعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه بيّنة واضحة ، ذلك أنّ هذا الإنسان حالة جحوده بنعم ربّه ، وكنوده وجموحه ونفوره عن طريق الله ، أشبه ما يكون بجموح الخيل ونفورها وعنفها وشراسة طبعها، فبينهما تشابه وتقارب.

من ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾ (الطارق ١-٤).

أقسم المولى- عز وجل- بالنّجم الثّاقب الذي يثقب بضوئه الشديد ظلمة الليل الحالكة فيُبدّد ذلك الظّلام ويظهر للعيان ما يستره ويخفيه ذلك الليل من أشياء فيه، فكذلك علمُ الله- جل وعلا- عظيم يثقب دخائل الأنفُس و ما تُكِنُّهُ صدورها في أعماقها المظلمة المخفية، فيكتب ذلك عنها ويسجّله عليها، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، ويؤيّد هذا المعنى مجيء السياق بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ**﴾ دليل على الدقة الشديدة في المتابعة والمراقبة من قبل الخالق- جلّ وعلا- لهذا المخلوق الإنسان.

من ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ (التكوير ١٥-١٩).

ففي هذا القسم نلمح علاقة بيّنة بين المقسم به والمقسم عليه، يوحي بها هذا التصوير البديع في التنزيل، ذلك أنّ في تنفُس الصّباح قوة كامنة تبدّد ظلام الليل، وتجعله يولّي مُدْبِراً، يُعسْعِسُ في هدوء، ويتسلّل في خفاء، فتخنس معه تلك النجوم والكواكب السائرة وتختفي باختفائه مع سطوع ضوء النّهار، يشبهه في ذلك تنفُس الوحي، وسطوع نوره المتمثّل في القرآن، مبدّداً بذلك ظلمات الجهل والوثنيّة والضلال، وأخفى بسطوع حجته جميع ما سبقه من كتب وشرائع كانت قبله، ودحض بنور برهانه مفتريات خصومه.

٢- علاقة التقابل والتفاوت:

يقصد بها مقابلة صورة بصورة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى** ﴾ (الليل ١-٤).

فالعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه علاقة تقابل وتفاوت، فعلى نحو ما يتفاوت اللّيل إذا يغشى بظلماته، والنّهار إذا تجلّى بضيائه، ويتفاوت الذّكر في خلقته وخصائصه، والأنثى في الخلقة والخصائص، كذلك يتفاوت سعي النّاس في الدُّنيا بين ضلال وهدى، ويزيد هذا المعنى وضوحا مجيء الآيات اللاحقة مؤكّدة هذا التقابل والتفاوت في كلّ من "أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى" ومن "بخل واستغنى وكذّب بالحسنى"، يقابله تفاوت في الجزاء "فسنيسّره لليسرى"، و"فسنيسّره للعسرى" و"لا يصلاها إلاّ الأشقى"، و"سيجنّبها الأتقى".

٣- علاقة الاستدلال:

ويقصد بها أن يكون المقسم به دليلا مؤكّدا للمقسم عليه ، من ذلك قوله تعالى: **﴿والعصر إنّ الإنسان لفي خسر﴾** (العصر ١-٢).

فقد أقسم المولى- عز وجل- بالعصر؛ لأنّه دليل بيّن واضح على خسارة هذا الإنسان، فهو يعصر الإنسان ويصهره بالضغط والمعاناة، ومروره يؤدّي بالإنسان إلى الشيب والكهولة والضعف. فالعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه علاقة استدلال.

وكذلك قوله تعالى: **﴿يس والقرآن الحكيم إنّك لمن المرسلين﴾** (يس ١-٣).

فقد أقسم المولى- عزّ وجل- بالقران الحكيم على صدق نبوّة الرسول- صلى الله عليه وسلم- ذلك لأن القران خير دليل على نبوّته- صلى الله عليه وسلم- لما اشتمل عليه من حكم بالغة تعجز عنها عقول البشر، وحُجج قويّة ساطعة من دلائل الإعجاز وأسرار البيان ، أعجزت المشركين وخصوم هذا التنزيل من أهل الفصاحة وأساطين البيان على أن يأتوا بسورة من مثله، وحيث قد ثبت عجزهم عن الإتيان بمثله فقد ثبت أنّ الرسول حق.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: **﴿ن، والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربّك بمجنون﴾** (القلم ١-٢).

أقسم المولى- عزّ وجل- بالقلم الّذي هو آلة الكتابة والعلم والبيان على نفي الجنون عن نبيّه- صلى الله عليه وسلم- ، فكأنّ سياق النص يوحي بالقول : أنّ من علم الكتابة، وعرف أسرار البيان، واطّلع على ما جئت به من هذا البيان المعجز

وهو القرآن، يدرك تمام الإدراك أنّك لست بمجنون؛ لأنّ ما جئت بـــه لا يمكـــن أنْ يصْدُر بأيّ حال عن مجنون، فالعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه علاقة استدلال.

٤- علاقة السّببيّة:

وقصد بها أن يكون المقسم به سببا في المقسم عليه ، من ذلك قوله تعـــالى: **: لعمْرُك إنّهم لفي سكْرتهم يعْمهُون ؛** (الحجر ٧٢).

فقد أقسم المولى- عزّ وجل- في هذا الموضع بحياة رسوله- صلى الله عليه وسلم- على إثبات وتأكيد غفلة وفساد عقول المشركين الكافرين بالله عـــز وجـــل، فكأنّ سياق النّص يوحي بالقول: أقسم بحياتك يا محمد؛ لأنّ حياتك كانت ســـببا فـــي كشف ما هم فيه من ضلال وغيّ، وغفلة عن الحق وفساد للعقول . فالعلاقـــة بيـــن المقسم به والمقسم عليه علاقة سببيّة.

المصادر والمراجع :

١-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر . أحمد بن محمد الشهير بالبنا. ت : علي محمد الضبّاع . دار النّدوة الجديدة – بيروت .

٢-الإتقان في علوم القران . جلال الدّين السيوطي . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصريّة . بيروت . ١٩٨٧ م .

٣-أحكام القران . أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي . ت : علي محمد البجاوي . ط ٢ . عيسى البابي الحلبي . القاهرة ١٩٦٨ م .

٤-إرتشاف الضرب من لسان العرب . أبو حيان الأندلسي .ت : د. مصطفى النماس . ط١ . مطبعة المدني . القاهرة ١٩٨٧ م .

٥-الأساس في البلاغة . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري . مكتبة لبنان ناشرون. ١٩٩٦ م .

٦-أساليب القسم في اللغة العربية . كاظم فتحي الراوي . ط١ . بغداد. ١٩٧٧ م .

٧-أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن . محمد أمين الشنقيطي . مكتبة ابن تيمية . القاهرة ١٩٨٨ م.

٨-الإعجاز البياني للقران . د . عائشة عبد الرحمن . بنت الشاطئ . ط ٢. دار المعارف . القاهرة . ١٩٨٤ م .

٩-إعراب ثلاثين سورة من القرآن . أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه . القاهرة . دار الكتب المصرية . ١٩٤١ .

١٠-إعراب القران . المنسوب إلى الزّجّاج . ت : إبراهيم الأبياري . المؤسسة المصرية العامة . القاهرة .١٩٦٣ .

١١-الأغاني . أبو الفرج الأصفهاني . دار إحياء التراث العربي .

١٢-الأمالي الشجرية . أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي . دار المعرفة . بيروت . لبنان .

١٣-الإمعان في أقسام القران . عبد الحميد الفراهي . دار القلم . دمشق ١٩٩٤ م .

١٤-إملاء ما منّ به الرّحمن . أبو البقاء عبداللّه بن الحسين العكبري . دار الحديث. القاهرة ١٩٦١ م .

١٥-الإنصاف في مسائل الخلاف . كمال الدين أبو البركات الأنباري . ت : محمد محي الدين عبد الحميد .١٩٨٢ م .

١٦-البحر المحيط . أبو حيان الأندلسي . ت: عادل عبد الموجود وعلي معوّض .دار الكتب العلميّة . بيروت ١٩٩٣ .

١٧-بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيّم . جمعه . يسري السيّد محمد . دار ابن الجوزي . السعودية. ١٩٩٣ م.

١٨-البرهان في علوم القران . بدر الدّين محمد بن عبد اللّه الزّركشي . ت : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلميّة . بيروت .

١٩-البسيط في شرح جمل الزّجّاجي . ابن أبي الرّبيع عبد اللّه بن أحمد الإشبيلي السّبتي . ت: د. عياد الثبيتي . ط ١ . دار الغرب الإسلامي . بيروت .١٩٨٦

٢٠-البيان في غريب إعراب القران . أبو االبركات بن الأنباري . ت: د. طه عبد الحميد و مصطفى السقا . الهيئة المصرية . القاهرة . ١٩٧٠ م .

٢١-التبصرة والتذكرة . أبو عبد اللّه بن إسحاق الصّيمري . ت : د. فتحي أحمد مصطفى . جامعة أم القرى . السعودية .

٢٢-التبيان في أقسام القران ، ابن القيم الجوزيّة . ت: فواز أحمد زمرلي . دار الكتاب العربي . بيروت. ١٩٩٤ م .

٢٣-التراكيب اللّغويّة في العربية . د. هادي نهر . بغداد. ١٩٨٧ م .

٢٤-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . ابن مالك . ت : محمد كامل بركات . دار الكاتب العربي . مصر .١٩٦٧ .

٢٥-تفسير أبي السعود . أبو السعود محمد العمادي . دار إحياء التراث . بيروت.

٢٦-التفسير البياني . د. عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ ". ط ٤ .
دار المعارف. مصر .١٩٧٤ م .

٢٧-تفسير جزء عم . محمد عبده . دار الهلال . بيروت .١٩٨٥ م .

٢٨-تفسير القران العظيم . ابن كثير . دار الأندلس . بيروت .١٩٦٦ م .

٢٩-التفسير الكبير . الفخر الرّازي . دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٩٩٥ .

٣٠-الجامع لأحكام القران الكريم . أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي . دار الكتب العلميّة. بيروت .١٩٩٣ م .

٣١-جامع البيان في تفسير القران . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . ط ٢ .
دار المعرفة . بيروت .١٩٧٢ م .

٣٢-خزانة الأدب . عبد القادر بن عمر البغدادي . ت : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي . القاهرة . ١٩٨٦ م .

٣٣-الدُر المصون في علوم الكتاب المكنون . السمين الحلبي . ت : د . أحمد الخرّاط . دار القلم . دمشق .١٩٨٦ م .

٣٤-ديوان امرئ القيس . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم . ط ٤ . دار المعارف . مصر . ١٩٨٤ م .

٣٥-ديوان جميل بثينة . ت : د . أميل يعقوب . دار الكتاب العربي . بيروت . ١٩٩٢ م .

٣٦-ديوان ذي الرُمّة غيلان بن عقبة العدوي . ت : د. عبد القدوس أبو صالح . مؤسسة الرسالة .

٣٧-ديوان زهير بن أبى سلمى . ت : علي حسن فاعور . دار الكتب العلميّة . بيروت . ١٩٨١ م .

٣٨-ديوان السموأل بن عادياً . ت : د. عمر فاروق الطبّاع . دار الأرقم . بيروت. ١٩٩٧ م .

٣٩-ديوان شعر المتلمس الضبعي رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي . ت : حسن كامل الصيرفي .جامعة الدول العربية . معهد المخطوطات العربية . ١٩٧٠ م .

٤٠-ديوان طرفة بن العبد . شرح الأعلم الشنتمري . ت : ذريّة الخطيب ولطفي الصقّال . مجمع اللغة دمشق . ١٩٧٥ م .

٤١-ديوان العرجي . ت : سجيع جميل الجبيلي . ط١ . دار صادر . بيروت.١٩٩٨ م .

٤٢-ديوان كُثَيِّر عزّة .ت : د . إحسان عبّاس . ١٩٧١م .

٤٣-ديوان مجنون ليلى .ت عدنان زكي درويش . دار صادر. بيروت .١٩٩٤ م .

٤٤-ديوان المفضّليّات . أبو العبّاس المفضّل بن محمد الضبّيّ . مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت . ١٩٢٠ م .

٤٥-ديوان النّابغة الذُبياني . ت : محمد الطّاهر بن عاشور. الشركة التونسية .١٩٧٦.

٤٦-سرُّ صناعة الاعراب . أبو الفتح عثمان بن جنّي . ت: د. حسن هنداوي . دار القلم دمشق . ١٩٨٥ .

٤٧-السّراج المنير في التفسير . الخطيب الشربيني . دار المعرفة . بيروت.

٤٨-شرح التصريح على التوضيح . خالد الأزهري.دار الفكر.

٤٩-شرح جُمل الزجاجي . ابن عصفور الأشبيلي. ت : د. صاحب أبو جناح .دار الكتب. جامعة الموصل .١٩٨٠.

٥٠-شرح الكافية ، رضي الدّين محمد بن الحسن الاستراباذي. دار الكتب العلميّة . بيروت.

٥١-شرح المفصّل. موفّق الدّين يعيش بن علي بن يعيش. عالم الكتب . بيروت.

٥٢-الشّرط والاستفهام في الأساليب العربية. د. سمير شريف ستيتيّة . دار القلم . الإمارات العربية. ١٩٩٥.

٥٣-الصّاحبي في فقه اللّغة . أحمد بن فارس . ت: أحمد صقر . عيسى البابي الحلبي . القاهرة . ١٩٧٧.

٥٤-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . أبو العبّاس أحمد بن علي القلقشندي. نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية. المؤسسة المصرية العامة.

٥٥-الصّحاح. إسماعيل بن حمّاد الجوهري. ت : أحمد عبد الغفور عطّار . ط٢. دار العلم للملايين . بيروت. ١٩٧٩م.

٥٦-صحيح البخاري . أبو عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري. ت: أبو صهيب الكرمي . بيت الأفكار الدولية للنشر ١٩٩٨.

٥٧-صحيح مسلم. بشرح النّووي. ت: خليل شيحا.ط٤.دار المعرفة.بيروت ١٩٩٧.

٥٨-ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغوي . طاهر حمودة ، الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع. ١٩٨٢.

٥٩-فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن حجر العسقلاني. المطبعة السلفيّة. ت : محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدّين الخطيب.

٦٠-الفروق في اللّغة . أبو هلال العسكري . دار الأفاق الجديدة. بيروت . ١٩٧٣.

٦١-الفوائد المشوق إلى علوم القرآن . ابن القيّم الجوزيّة. لجنة تحقيق التراث. مكتبة الهلال. بيروت.

٦٢-القاموس المحيط . الفيروز آبادي. ط٣. مؤسسة الرسالة. بيروت . ١٩٩٣م.

٦٣-كتاب سيبويه. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. ت: عبد السلام محمد هارون . دار الجيل . بيروت ١٩٩١.

٦٤-الكشّاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري. دار الفكر . بيروت.

٦٦/٣/٢

٦٥- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي . ت : د. محيي الدين رمضان . مجمع اللغة العربية . دمشق.

٦٦- اللّمع في العربيّة . أبو الفتح عثمان بن جنّي . ت : فائز فارس . دار الكتب الثقافية . الكويت.

٦٧- مجمع البيان في تفسير القران . أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسي . ت : هاشم المحلاتي وفضل اللّه الطبطبائي. دار المعرفة.

٦٨- المحتسب . أبو الفتح عثمان بن جنّي . ت : على النجدي ناصف . د. عبد الفتاح شلبي . لجنة إحياء التراث. القاهرة. ١٩٩٤.

٦٩- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . عبد الحق بن عطيّة الأندلسي . ت: عبداللّه الأنصاري وعبدالعال السيّد إبراهيم . الدوحة. ١٩٨٩.

٧٠- المخصّص. ابن سيده . المكتب التجاري . بيروت .

٧١- المشاهد فى القران الكريم . دراسة تحليليّة وصفية. د. حامد صادق قنيبي . مكتبة المنار . الأردن. ١٩٨٤.

٧٢- معاني القران . أبو زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء. ت : محمد علي النجّار وعبد الفتّاح إسماعيل شلبى ، وعلي النّجدي ناصف . دار السرور.

٧٣- معاني القران . سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي . ت : د. عبد الأمير الورد . عالم الكتب. ١٩٨٥.

٧٤- المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي. ط٣. دار المعرفة . بيروت .

٧٥- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب . ابن هشام. ت : الفاخوري . دار الجيل . بيروت.

٧٦- المفردات في غريب القرآن . الرّاغب الأصفهاني . ت : محمّد سيّد كيلاني. دار المعرفة . بيروت.

٧٧- المفصّل فى صناعة الإعراب . أبو القاسم محمود الزّمخشري. ت : د. علي أبو ملحم . دار الهلال . بيروت . لبنان.

٧٨- المقتضب . أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد. ت : محمد عبد الخالق عضيمة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة . ١٣٨٦هـ .

٧٩- من أساليب القران . د. ابراهيم السامرّائي . دار الفرقان.عمّان. ١٩٨٣

٨٠- النّحو الوافي . عبّاس حسن . ط٣ . دار المعارف . ١٩٧٣.

٨١- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع . جلال الدّين السوطي. ت : عبد العال سالم مكرم . دار البحوث العلمية . الكويت ١٩٧٩.

الملخّص باللّغة العربيّة:-

تتألّف هذه الرّسالة من مقدمة و ثلاثة فصول.

أمّا المقدّمة ، فقد عرضتُ فيها سبب اختياري هذا الموضوع للدراسة ، وهو محاولة الوقوف على جوانب من دلائل الإعجاز وأسرار البيان في القرآن الكريم ، متناولاً هذا الموضوع وهو أسلوب القسم في التنزيل من جانبين رئيسين هما التركيب والدّلالة.

ففي الفصلين الأول و الثاني تناولت جانب التركيب المتمثل في جملتي القسم وهما جملة القسم وجملة الجواب، حيث درست في الفصل الأول جملة القسم متناولاً أشكالها و أنماطها المتعدّدة والمختلفة في التنزيل ، وفي الفصل الثاني تناولت جملة الجواب بالبحث و الدّراسة ، وفي الفصل الثالث والأخير تناولت الدّلالات البلاغية في القسم مظهراً جوانب الإعجاز البياني في الذكر الحكيم ، وخلصت في هذه الدّراسة إلى النتائج الآتية:

١- أنّ قسم المولى – عزّ وجل – ببعض مخلوقاته و المشاهد الكونية هي أقسام استدلالية ، ولم تأت لتقديس المقسم به .

٢- أن ألفاظ ،" حلف " و" أقسم " و " آلى " ليست ألفاظا مترادفة في المعنى كما نصّت على ذلك المعاجم ، و إنما الأمر يختلف تماما في التنزيل ، فلكل لفظة من هذه الألفاظ دلالتها الخاصة ، فالحلف قصد به الحنث في اليمين، وقد ورد على لسان المنافقين ، وأما القسمُ فقُصِد به تأكيد اليمين وتوثيقها والصدق فيها، و أما فلفظة " آلى " قصد بها اليمين على التقصير في الشيئ.

٣- أن حروف الفواتح في السّور ليست أقساما كما ذهب إلى ذلك البعض ، وإنما هي إشارة الى الإعجاز و التحدي على الاتيان بمثل هذا القرآن.

٤- أنّ هناك ثمّة علاقة ومناسبةً بين المقسم به والمقسم عليه ، وذلك سرٌّ من أسرار القسم في التنزيل . أضافةً الي نتائج أخرى جاءت في ثنايا البحث.

Abstract

The Oath in Qur'an Syntactically and Semantically

This thesis consists of an introduction and three chapters . In the introduction I demonstrated why I select to study this topic which is an attempt to preceive the semantic aspects of inimitability and the implicit rhetoric of tropes and metonymies in the Koran. The study looks for the semantic and structural sides where the structural is studied in the first two chapters that deals with the oath sentence and the reaction sentence.

The first chapter shows the forms and various kinds of the oath sentence in the Koran.

The second chapter explains the different types of reaction sentence.

The last chapter researches the eloquent semantics in the oath exhibiting the styles of the tongue inimitability in the Koran.

The results

1- The oaths of God on some of his creations are evidential oaths but not to sanctify them.

2- The words [halafa], [qasama], and [aalaa] are not synonymous as some dictionaries indicate. [halafa] means swear with the intention of breaking. This word used mainly in Koran for hypocrites. [qasama] means a solemn oath and [aalaa] means the same where the last also used when the speaker wants to abstain from his duty.

3- The letters come in the beginning of some suras are not oaths as some writers say, but they are sign of inimitability and challenge.

4- There is a relationship between any thing by which we swear and the reaction of oath.